مجموعة قصصية

عبد الرحمن الراوي

أسرار الشيطان

المفكر العربي

- اسم الكتاب: أسرار الشيطان
- اسم المؤلف: عبدالرحمن الراوي
- المقاس: 14×20
- الناشر: دار المفكر العربي
- عدد الصفحات: 120
- رقم الإيداع: 2022/20406
- الترقيم الدولي: 978 - 977 - 6956 -63- 6

- حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار المفكر العربي للطباعة والنشر

أسرار الشيطان

عبدالرحمن الراوي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم.

السادة القراء الأعزاء،،،

كل من لمست أنامله كتابي هذا، أو أضاء نور وجهه الوضاء أحرفي تلك..

أقول، مستعينا بالله، إني حاولت جاهدا أن أتخير لكم الأفضل، وأقدم ما أظن أنه يجعلني أحظى برضاكم عنه..

أضع هذا الكتاب بين أيديكم لعله ينير دربا من الدروب التي تسلكونها لتحقيق أهدافكم، أو لعله يضيء شمعة في ظلمة ليل حالك ، تحسبا أن يمر بكم ، فلا تطأ أقدامكم إلا أرضا صلبة تقفون عليها راسخين رسوخ جبل أشم ، أو لعلكم تجدون فيه ما يسري عنكم .

وقت ضيق ، ويحدوني الأمل أن تجدوا بين السطور ما ينفعكم بإذن الله ، وأعلم أن ما خرج من القلب يصل إلى القلب..

وعلى الله نتوكل ، وهو من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل..

مع مودتي الخالصة لكم..

و أطيب الأمنيات بقراءة ممتعة.

المؤلف / عبدالرحمن الراوي

الإهداء

أهدي هذه السطور إلى أصحاب الفضل ، بعد اللّٰه، علينا، من لم يدخروا جهدا أو مالا أو علما أو نصحا أو دعما ولو بكلمة في سبيل أن نكون الأفضل و الأنفع و الأصلح في هذه الحياة قدر المستطاع ، وأتمنى أن نكون عند حسن ظنهم بنا في طاعة اللّٰه و رضاه ، جزاهم اللّٰه عنا خير الجزاء.

أحلام مقتولة

وسط هبة ريح بشرية ، في يوم صيفي شديد الحرارة ، حملته دوامة إعصار من أجساد البشر إلى داخل عربة المترو، التي سرعان ما أغلقت أبوابها، و كأنها لا تطيق انتظارا لتجديد الهواء الذي يحمل إكسير الحياة للركاب ، فتغل يدها بما جاد به الله على الكوكب أجمع.

رغم سنوات عمره التي لم تتعد أصابع اليد الواحدة إلا أنه كان أول القافزين إلى وسط العربة بشجاعة شاب في العشرين من عمره.

ما إن بدأ يفتح حقيبة صغيرة بيده يحمل فيها بعض الحلوى التي ربما لم يذقها ليوزعها على الركاب و يوزع معها أحلامه البسيطة في أن يفوز بثمنها في صمت يقول كل شيء ، فجسده النحيل و

ملابسه الرثة و أقدامه الحافية و وجهه الذي يكسوه البؤس قبل التراب ، كل هذا يحكي قصة معاناته التي لا ذنب له فيها و لا جريرة ارتكبها ليؤخذ بها ، رمقته بنظرة حانية و دودة تلك السيدة البدينة التي يجلس إلى جوارها زوجها ممسكا بيدها قابضا عليها ، و كأنه يقول لها ما عند اللّٰه خيرو أبقى ، و إن اللّٰه قادر أن يهبنا مثله ، ويربت على يدها بيده الأخرى

و هذا المسن الجالس على حافة المقعد الطويل ينتزع من بين شفتي الطفل ابتسامة تهلل بها وجهه بعد أن داعبه بعكازه متصيدا رقبته بعكفته ، و رغم حزن الابتسامة إلا أنها أضاءت وجهه.

و هذا الشاب الذي ينظر في عيني الفتاة التي أمامه مباشرةٌ يبث لها رسائل حب و أشواق لاعجة لم ينتبه للطفل أو لقطعة الحلوى التي سقطت من فوق رجله ليلتقطها الطفل ثانية و يعطيها لنفس

الفتاة التي يغازلها الشاب بعينيه و هي تأكل حبات من اللوز المقشر، فتقبض بأصابعها بضع حبات من اللوز و تضعها في جيب الطفل مع قطعة نقدية خرساء ، وتعيد له الحلوى ، فينتقل الطفل إلى هذا الكهل الذي يحمل بعض أكياس المقرمشات من الحجم الكبير التى ربما اشتراها لأولاده ، و يضع الطفل الحلوى في يده فيردها الكهل له ويعطيه واحدا من تلك الأكياس الضخمة التي معه ليفوز بنظرة رضا و شكر من الطفل الذي سرعان ما عاد ليجمع من الركاب الحلوى أو المال لمن رغب في دفع شيء لمساعدته ، و يجمع ايضا أحلامه البسيطة و خطواته التي تنطلق نحو المجهول ليعيد الكَرَة مرة أخرى في عربة أخرى مع أناس جلهم يحسبهم أغنياء من التعفف ، لا يحملون في جيوبهم وعقولهم إلا أحلاما شبيهة بأحلام الفتى أو ربما أعلى منه بدرجات ، ولكن لا تختلف عنه كثيرا ، في قطار لا يعرف إلا وجهة واحدة يبعثر

خلالها و على أرصفتها تلك الأجساد التي تدور في ساقية غار ماؤها دون توقف ، تتمنى و تأمل في غد أفضل. و ما إن ينزل الطفل ليركب العربة التالية حتى يطارده شرطي لمخالفته القانون ، فيندفع نحو الباب الذي حال الناس دون دخوله منه فأغلق ، فما كان من الطفل إلا أن يقفز بين العربات فينطلق القطار فجأة ليهتز الكيس الذي يحمل فيه الحلوى و النقود و أحلامه البسيطة ، فيحاول الطفل الإمساك بالكيس فيختل توازنه في ثوان معدودة فيسقط صريعا تحت عجلات القطار.

لحظة تنويرية

بعد أن بلغ من العمر أرذله ، لم يحتمل أقرب الناس إليه خدمته و السهر على راحته في أعصب أوقاته ، ظل يجاهد و يصارع مرضه ، وما إن تماثل للشفاء حتى طاف عقله الأرجاء ، فغدا يلملم أقساط عمره من أرصفة الحياة ، يتفكر فيما مضى ، يمرره أمام عينيه ، بدت له بعض أيام من الماضي مشرقة ، استحسنها ، و لكنها كانت تغوص و لا تكاد تبين وسط ظلام أيام قاحلة هي كل عمره الذي عاشه ، رغب في خاتمة حسنة لعمره الممتد كجبل على طوال الرحلة فغدا يجمع ومضات النور من طيات قراطيسه المصنفة على أرفف مكتبته التي يعلوها الغبار، راح يقرأ في كتاب اللّه ، فوجد ضالته فيه فهل منه بحظ وافر، كان خوفه الشديد

من سوء الخاتمة يطارده ، كان يبحث عن كل ما يقربه من المولي عز وجل ، دار وطاف ، حاول جهده أن يتدثر بأسمال اليقين التي ما فارقت عقله وقلبه ، انتعل هوى نفسه ولم يطاوعها في معصية بعد و رجا من الله خيرا فلعلها تكون توبة نصوحا.

امتطى علمه إلى رحاب النور و داخل المسجد جلس يقرأ آي الذكر الحكيم ، فجأة لمعت عيناه عندما أضاءتها آية في كتاب الله «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون».

امتثل للأمر و فرح بالبشري فأطال السجود ، ظن من حوله أنه ربما يرتاح لسجوده ويغسل عينيه ندما وتضرعا ، و لكن القلق جعلهم ينبهونه فوجدوه آثر الرحيل إلى جنة الخلد ، و تجاهل نداءات الدنيا الفانية ، ترك كل ما جمعه متبرعا به لوجه الله بعد اليقين ، ففاز بحسن خاتمته.

خطوة على الطريق

- حكمت المحكمة لصالحنا يا أستاذي..

التمكين من السكن ومبلغ النفقة أيضا، الحكم جاء أكثر من رائع.

كم أنا سعيدة لإنصاف تلك السيدة المسكينة وأطفالها ، انتزعنا لها حقها من مُطلّقِها الظالم ذاك الشرس المراوغ.

- أراد الأستاذ أن يطرد وساوس الشك من رأسه بجحافل اليقين لديه ، ليبرهن لنفسه على صدق حدسه وفراسته باختيارها للعمل معه فضلا عن أترابها.

فتح الملف ملأ عينيه بمنطوق الحكم واجب النفاذ مذيلا بصيغته التنفيذية.

رفع بصره من خلف هيكل نظارته..

ابتسم... يااااه.. أخيراااا....

- هل تعلمين أنه في حالة فقد هذه الصورة من الحكم المذيل بالصيغة التنفيذية يعني أننا لن نحصل عليها ثانيا إلا بحكم محكمة ، و هذا يعني رفع قضية من جديد و إثبات فقد و أشياء كثيرة أخرى تؤدي إلى طول أمد التقاضي و ربما...؟؟

- نعم أعلم يا أستاذي و أحفظ جيدا.... المادة ١٨٣ من قانون المرافعات تنص على أنه في حالة فقد.....

- كفي... كفي... يرفع يده مشيرا لها بالتوقف عن الكلام!!

يرمقهما بنظرة تعجيزية ، يستفزها مستنفرا همتها ، مواريا ثقته التامة بقدراتها..

وهل أنت..... تستطيعين؟؟؟!!!

نظرت إليه بعين التحدي ولم تجب ، مدت يدها إلى الملف المفتوح أمامه ، أغلقته ، وضعته داخل حقيبتها و انصرفت.

- صباح الغد سأكون هناك وسترى!!

- إن غدا لناظره قريب.

استبقت الباب، حين وصلت كلماتها إلى مسامعه كانت قد قطعت المسافة إلى الباب الخارجي للمكتب ، كانت كلماتها ذات النبرة العالية تتوعد الشك لديه ، وهي غيرمدركة أنها تمنح السعادة و ترسم الابتسامة على وجهه.

أستاذها الذي لم تترك له الفرصة أو سعة من الوقت للرد عليها ببنت شفة ، لم تنظر للخلف لترى الابتسامة تتأرجح على محياه ، كان رد فعلها سريعا جدا ، لم تأبه للسفر إلى الصعيد و قطع المسافة من القاهرة إلى هناك ، مدينة في أغوار الصعيد ، مئات الكيلو مترات ، تمر بها ليلا بالقطار بما فيها من مخاطر طوال الرحلة بمفرها ، و هي فتاة ، محط الأنظار، في مقتبل العمر، ذات وجه ملائكي وجسد متناسق يضج بالأنوثة ، في جمال جورية ، ورقة سوسنة ، و ليونة غصن بان ، في أدب و حلم ناسكة ، ملكة

جمال متوجة ، جامحة ، تربح كفرس رهان لا تباري إذا تسابقت ، أنثى بكل ما حوت الكلمة من معنى ، لها شموخ ملكات الفراعنة. تبطن بداخلها حين تعادي جسارة و صرعة لبؤة أدركت صيدا. في العاشرة ليلا ابتاعت تذكرتها للقطار الذي أوشك على التحرك ، بوسط إحدى عرباته المكيفة جلست إلى جوار النافذة ، تشعر بإجهاد بعد معاناة يوم طويل ، أرخت المقعد للخلف ، وأسلمت رأسها إلى مسنده ، لم يغالبها النعاس ، رغم الوسن الذي يراود عيونها الجميلة ، تقفز الكلمات من سراديب الذاكرة إلى مسامعها بصوت هامس ، لا تنامي على سفر، تهز رأسها سمعا وطاعة ، هكذا نصحها يوما أبوها، ينهب القطار المسافات ، يرفل في روعة الطبيعة ، المياه ، الأشجار والحقول ، جنة تميد سحرا ، لا شيء يحجب المدى ، جمال يغسل العين من قذى المدينة ، تملأ رئتيها بتؤدة ، هواء نقيا عليلا ، لم تدنسه عوادم الاحتراق.

علي إيقاع صوت دوران عجلاته المنتظم ، تستدعي شريط ذكرياتها ، طفلة صغيرة متشبثة بيد أبيها في نزهة قصيرة على ضفة النهر بجانب المنزل وسط العاصمة ، لا تنسى أبدا تلك اليد العفية والساعد الفتي لوالدها وهي تقدم كوب الشاي الثقيل له في ورشته ، تتذكر عينيه اللتين تلمعان سعادة و هو يحتضنها و هي في طريقها إلى المدرسة ذهابا و إيابا ، متفردة بحميمية و ركن خاص بقلبه ، دون إخوتها الستة بما فيهم الذكور، يعول عليها في كل شيء ، يستشيرها في كل كبيرة وصغيرة ، ليست لأنها أكبرهم فقط ، و لكن يروق له سداد رأيها، و حسن مشورتها التي تزداد بمرور الزمن حنكة و حكمة.

تتذكر مرورها كل يوم أمام مجمع المحاكم المجاور لمسكنها ، ترمق في طريقها المبنى ومرتاديه بشغف ، تصنفهم بإعجاب ، هذا قاض ، وهذا مستشار، و هذا وكيل نيابة ، وهذا محام ، و كأنها

على موعد مع العدالة لم يحن بعد.

ذكرياتها بالكلية وهي بين أقرانها ، أعمامها و أخوالها حين الزيارات المتبادلة و حنوهم عليها و إعجابهم بشخصيتها ، يشجعها ، يشحذ همتها.

ليست هذه المرة الأولى لسفرها للصعيد ، و لكنها المرة الأولى بمفردها ، أيضا المسافة تغيرت ، هي أبعد قليلا عن مسقط رأس العائلة الذي تزوره كلما سنحت لها الفرصة ، و لكن لا بأس هي بمأمن ما دامت تتجه إلى الجنوب حيث لا يخلو الرجال من مكارم الأخلاق ، الطيبة و النخوة و الشهامة ، تتعامل بتلقائية بحتة بلا وجل ، تمد يدها بالتذكرة لمحصل القطار، يتفحصها و يعيدها إليها، تشير إلى عامل البوفيه بأن يجلب لها كوبا من الشاي الثقيل الذي تتقاسم عشقه مع والدها ، تبتسم عندما تتذكر ضحكته و هو يداعبها مشيرا إليها «الشاااي الثقيييل

يساعد على التركيز!!» هل نشرب معا؟

كل برهة تتحسس حقيبتها إمعانا في تأمينها، نصيحة و الدتها الدائمة!!

تنزل بمحطة الوصول ، تدلف إلى الشارع الرئيس ، تشير إلى سائق سيارة أجرة ، يقلها إلى مجمع المحاكم ، تجتاز الباب الرئيس إلى البهو الكبير، تنظر إلى ساعتها ، وصلت في التوقيت المناسب ، تسأل:

- أين قلم المحضرين لو سمحت ؟؟ يشير أحدهم إلى رجل على مشارف الستين من عمره ، إنه رئيس القلم ، تعرفه بنفسها ، يغمرها بالترحاب ، يصطحبها إلى غرفة المحامين ، تطلعه على ما لديها أريد تسليم الصيغة التنفيذية و البدء في اتخاذ ما يلزم ، يفحصها الرجل بروية ، يتمعن في اسم الخصم باندهاش ، إنه هو ، نفس الاسم ، صاحب العصابة المخيفة و العائلة الكبيرة ،

يعرفه الجميع هنا ، يجول بنظره بين الجالسين ، يراه ، ها هو محامي الخصم لحسن الحظ موجود هنا.

كان المحامي بالمصادفة يجلس خلفها مباشرة و يسترق السمع ، و لعلمه التام بتطورات القضية لم يكن يحتاج لشرح.

- المحامي.... أهلا وسهلا بك يا أستاذة.

- أهلا بحضرتك..... حضرتك موكل في القضية وتحل محل الخصم في كل ما يخص القضية ، وها نحن الآن بالصدد،،،

- ضاحكا بسخرية... من الواضح أنك لا تعلمين من هو خصمك.

- بل أعلم ، وأيا من كان ، هو مواطن متقاضى صدر ضده حكم واجب النفاذ و أنا هنا لمباشرة إجراءات التنفيذ.

- اسمعي أقصر الطرق هي المستقيمة ، و أوضح الكلام هو مباشره.

- نعم تفضل أكمل ، أسمعك....

- سأعطيك خمسين ألف جنيه عدا ونقدا حالا.

- لم أفعل شيئا يوجب عليك أن تدفع لي هذا المبلغ، فما المقابل؟؟؟

- فقط تتركين صورة منطوق الحكم بصيغته التنفيذية و تعودين أدراجك و كأن شيئا لم يكن

- و كيف لي هذا؟؟؟

- ستقومين بعمل محضر سرقة أو فقد الحافظة و تأخذين نسخة منه لرفع الحرج عنك و إخلاء مسؤوليتك.

- أأنت تقدم لي رشوة!!! و في محراب العدالة!!!! في المحكمة!!! وبشهادة الشهود!!!

- ليست رشوة إنما هي لأجل تعبك و إكراما لك، أنت بيننا، و في بلدنا، بين أيدينا، و تحت... أقصد في أعيننا، و يجب أن نعتني بك و نتابعك، أنت ضيفتنا.

- و إن لم أفعل؟

- سنأخذ الأوراق، و بدون دفع أي مبلغ و بطريقة لن تعجبك،

موجعة لك ، و تكون القصة الحقيقية مؤلمة أكثر عليك مما كنت ستدعينه من خطف حقيبتك و ربما الأذى.... يطالك أنت ، إذا لزم الأمر.

- هذا تهديد صريح لي سأتخذ ضدك إجراء قانونيا أنت تعلمه جيدا.

- لن تستطيعي فعل أي شيء ، و إن فعلت فلن تخرجي من البلد إلا جثة هامدة ، مشوهة المعالم.

- لو كانت لديك ذرة من الشرف ما عرضت عليّ الرشوة ، نعم ، لو كنت تملك ذرة من الرجولة نفذ ما توعدتني به أو اعترض طريقي.

- سنرى أيتها الحرباء.

- نعم وسنرى أأسدا أنت أم نعامة؟

- من أين لك بهذه القوة؟؟؟

من تحسبين نفسك؟

أتظنين أنك رجل؟

- لا بل كنت أظنك أنت رجلا!! ولكن بأفعالك هذه اتضح أنك امرأة ، وسيئة السمعة أيضا ، ومعادلتها بك ظلم لها.

يتدخل رئيس قلم المحضرين ، واضعا جسده حائلا بينها وبينه..

تعالي يا أستاذة من فضلك سأوصلك إلى سيارتك ، إلى أين أنت ذاهبة؟

- أشكرك لن أتحرك من هنا قبل تنفيذ مهمتي.

- لا بأس... اهدئي... دعينا الآن ، وسنرى ماذا نفعل غدا ، أما الآن فأنت ضيفة بين عائلتي و مع أولادي حتى الغد.

- أشكرك أنا لست غريبة عن الصعيد ، منازل عائلتي على بعد بضعة كيلو مترات ، أقل من ساعة إلى هنا ، سأذهب وأعود باكرا.

- لن يحدث يا ابنتي ستركبين معي سيارتي ولا تخافي ، سأوصلك

لأهلك.

- يا عم أنا لست خائفة ، لو خفت ما أتيت و لو حسبت أني سأقابل هذا الجبان ما أتيت إلا و معي أصغر شبل بالعائلة يلقنه درسا لا ينساه أبدا.

- لعله خير يا ابنتي ، ولكني أعلم عن هذا الرجل و وكيله ما يجعلني أخاف عليك.

- كيف يا عم؟ وماذا تعلم أخبرني؟

كانت طلقة اللسان ، بليغة المقال ، لبقة...

شرح لها خطورة ما هي مقدمة عليه ، بغض النظر عن النواحي المادية ، هم لن يتقبلوا الهزيمة.

تبادلا الحديث بطول الطريق.

- كان حوارا ممتعا بنيتي وددت لو طال الطريق أكثر، وها نحن وصلنا لأهلك... هنا.

- أنا في غاية الخجل منهم يا عم ، كان يجب زيارتهم قبل أن آتي للمحكمة أو حتى الاتصال بهم ليعلموا بقدومي.

- لا بأس بنيتي ، يعذرونك ، نحن أيضا أهلك و ها نحن بينهم.

بعد الاستقبال الحافل لهما و أمام جمع من العائلة طرح كبير المحضرين الموقف تفصيلا ، و حذر من مغبة عودتها لاستكمال مهمتها بمفردها ، رجاهم رفع الحرج عنه... و بعد أن نال ما يجب من كرم و حفاوة الضيافة انصرف شاكرا.

أشار كبير العائلة إلى ذلك الفتى الرابض ينصت في تحفز و قد انتفخت أوداجه ، أتاه و سلمه أذنه ، همس له بعبارات مقتضبة ، أومأ الفتى برأسه و وابتسم ، و كأنه سمع لحنا شجيا أطربه ، غاب عن الحضور ساعة ، و عاد ليخبر الجد أن كل شيء على ما يرام كما أمر.

- غدا يكون لنا أمر.... يفعل الله ما يشاء.. قالها الجد.

- أعددت لك شيئا تأكلينه ، أشعر بك ، لم تحظي بنوم جيد طوال الليل ، قالت لها الجدة

- تكفيني أنت ، برؤيتك و جمالك ما وددت أن أغمض لحظة يا جدتي و صباحك أجمل صباح بمشيئة الله ، و وضعت على رأسها و يدها قبلة.

تناولت لقيمات من إفطارها ، و ركبت السيارة بصحبة ابن عمها الذي يعمل رئيس قسم الحركة بالحي ، كان في المقدمة و في الخلف ثلاث سيارات نقل كبيرة ، تحمل لوحات جهة حكومية محملة بالرجال ، لا مجال للجلوس ، الكل وقوف ، لا مكان لموطئ قدم ، استنفر الفتى صناديد العائلة ، الأهل هم العزوة والسند ، الكل واحد وقت المكاره.

الدماء تغلي في عروق نافرة ، باطن الأرض لهم أكرم ، إن أهينت نساؤهم وهم أحياء.

يعلم الجميع أن في هكذا مواقف لا مجال للكلام ، فقط السلاح يزغرد ، كل رجل يتوشح سلاحا ناريا و يحمل بين طيات ملابسه ذخيرته الإضافية ، نعم الأسلحة آلية نارية ، أما الأسلحة البيضاء مثار السخرية فهي للطعام فقط.

- تبسم كبير المحضرين ، وافق هواه ما رأى ، و إنقاذا للموقف و عدم احتكاك الخصوم و تفاديا لإهراق الدماء ، نعم إهراق الدماء ، قد يقبل أهل الصعيد الأذى في المال باعتذار بسيط ، منحتهم قسوة التجارب و دمويتها الحلم و الصبر، و لكن إذا فاض الكيل ، و لم يعد في قوس الصبر منزع ، فلا يسكتون على ضيم ، ناهيك عن التعرض للشرف ، يشعل حربا لا هوادة فيه ا، كأنها البسوس لا تنعي مصارع أهلها ، و ما وضعوا في مواجهة إلا و كانت هي الخيار الأمثل بدلا عن الموت... المواجهة مهما كانت النتائج. هاتف الرجل أهل الحل و العقد من علية القوم ، و أبلغ الأجاويد

منهم و أهل الخصم بما حدث من المحامي بإيعاز من ابنهم ، و أن المحامي استعان بالبلطجية خارج المحكمة فخذلوه ، كانوا أكثر تقديرا للموقف منه ، هم لن يدخلوا معركة خاسرة لا تكافؤ و لا أدنى مقارنة فيها بينهم وبين حملة السلاح الآلى .

الآن لاذ المحامي به للنجاة ، مذعورا، مختبئا كفأر تترصده القطط بباب مخبئه!!!!

يعلم الجميع أنه إذا سالت قطرة دم واحدة فستكون بداية لبحر من الدم لن يتوقف أبدا.

الوضع خطير جدا ، اجتمع الكل ، تقدم الأجاويد والوجهاء منهم.

- عفوا ، لم يعلم من أنت و أنك ابنتنا أيضا و منا و علينا ، اعتذروا لها جميعا ، فوضها جدها بقبول أو رفض الاعتذار و كأنها يمامة العصر، عرضوا إرضاء لها أن يسلم الزوج المسكن بعد مهلة

وجيزة يتدبر بها حاله ، حيث كان اليوم سيدخل فيه بعروسه الجديدة بعد أن جدد كل شيء به ، دفعوا ما استحق عليه من نفقة مجمعة. و بعد ما تم و تحقق..

- أرضيت يا ابنتنا؟

- أنا راضية يا جدي ، و عفا الله عما سلف ، و اقول لهم إن عدتم عدنا..

عادت وسط عزوتها وتحقق لها ما أرادت ، بزهو المنتصر تقص على أستاذها درسا لن يمحى من ذاكرتها ، درسا أكبر و أطول من تلك الرحلة ، أزاحت بالبرهان كل شك علق بذهنه أو خالج وجدانه في قدراتها.

هنا أيقن أنها من سدنتها وأنها خلقت لتكون متفردة و بارعة بحق في محراب العدالة.

- إنفرجت أساريره فهمس لها ، نعم درس سيبقى أثره مدى

حياتك.

- أتعلمت؟

- نعم تعلمت يا أستاذي.

لا تتحدي الخصم ، و لا تنازلي الباطل حتى لو ملكت الحق و الحجة حتى يكون لديك القوة و القدرة على المواجهة و الغلبة و الانتصار، ليس خوفاً على الحق ، وإنّما خوفاً عليك ، فقد يقتل الإنسان بالعصا و هو يحمل سيفا لا يحترفه أو يرفع السيف بيد مرتعشة خائرة لا تقوى على حمله ، كن أنت ، آمن بقدراتك ، لا تستسلم ، اصنع مستقبلك بنفسك ، اعلم أنه لابد للحق من قوة تذود عنه وتحميه ، بتلك النصيحة أنهت كلامها على هامش محاضرتها لطلابها في الجامعة ، وانصرفت.

- أظنننا تأخرنا،،، قالت و هي تحيي الحضور.

- هي فقط عشر دقائق في المسافة من الجامعة إلى المكتب وذلك

نظرا لأنه وقت ذروة الزحام ، عموما أعتذر يا دكتوره... قال سائقها وهو يضع حقيبتها على المكتب و ينصرف.

- تتعلق أنظار متدربيها الجدد بعينيها ، هي بدورها تتفحص وجوههم ، تبحث عن نفسها في إحداهن، ترتشف شايها الثقيل داخل مكتبها الفخم الفسيح بموقعه المميز وسط العاصمة ، بين الكبار، يعج بالقضايا ، كما حلمت به تماما ، أصبح واقعا و شيئا يسيرا مما تحقق من إنجازاتها العديدة التي عبدت طرقاتها بالعزيمة والكفاح ، فأتت كفلق الصبح ، كلها بدأت بخطوة على الطريق.

ثورة الحكيم

وفي رحلة حياته الطويلة من بدايتها حتى السن الذي جعل منه رجلا يمشي على الأرض بيقين و خطى ثابتة فينادون عليه بلقب الحاج احتراما لسنه ، أصبح يطل على الحياة من أعلى جبل شاهق ، يرى بحكمة بالغة ، يحلل الأشياء و الأمور جميعها فلا يتفاعل أو ينفعل إلا إذا رأى بعين البصيرة وخبرة السنين الكبيرة ما يستحق التفاعل ، وليس كل ما يراه يثير الاهتمام ، ربما لأنه قرأ عنه من قبل أو يعرف نهايته الحتمية التي خبرها بحكم معارفه المتعددة و أصبح يتوقعها ، و دائما ما يكون على صواب ، و منذ نشأته كان على هامش معاناته اليومية لكسب الرزق لا يترك وقت فراغ لديه إلا إذا استنفده بالاستفادة منه ، المشاهدات تثري علومه و كذلك القراءة و كذلك السماع و أيضا

كلما أتاحت له الحياة فرصة تعلم جديدة من أي نوع ، حتى لو كانت من عامل أو صانع أو حرفي ، هو لا يهدر وقته ، دائما يستمع و يدقق ويسأل ويتعلم.

الآن أصبح لا يريد مزيدا من الكلام مع أي شخص لا يضيف له شيئا جديدا و مع ارتفاع سقف معرفته و ثقافته أصبح أصدقاؤه قلة و هم من الصفوة ، نادرا ما يجد في محيطه من يثري مخيلته أو يضيف جديدا إليه ، لذا فهو دائم البحث عن كنزه المنشود في المنتديات وعلى صفحات التواصل بين أثرياء اللغة والثقافة ، يجد نفسه بينهم و روحه تحلق عاليا عند مطالعة السرديات الباذخة ، تلك هي السعادة بالنسبة له ، أو أي من مناحي العلوم الأخرى.

ما تلقاه من صدمات جراء مكافحة الموت المسلط عليه و هو على قيد الحياة كان كهطول ماء السماء و كجريان السيل حول صخرة

لسنوات طوال ، حيث أصبح كل شيء حوله مزعجا ، مثلا تزعجه أبواق السيارات ، صخب وضجيج الشوارع ، زحام المواصلات ، المتلاسنون و المتشابكون بالأيدي في كل مكان ، في كل طريق على أتفه الأسباب و أكبرها ، كملاحقة الجيران له بالنظرات ، طمع كل من حوله في حقوقه و محاولاتهم المستمرة في سلبه إياها و محاولته المستمرة في الدفاع عنها، كل هذا و أكثر جعل منه صخرة قوية، و لكن على وشك التحطم بفعل الانهيارات و التجريف الذي يحدث حولها و هي أعلى قمة الجبل ، صار كل ما حوله متآمرا عليه و يشكل عبئا نفسيا و عصبيا عليه ، رأسه تكاد تنفجر، الآن تحديدا.

يعاني مشاكل جمة أبسطها من الطابق الذي فوق شقته مباشرة بالعقار الذي يقيم به ، كان يأتيه الإزعاج و كأنما تقام مباراة أو مارثون للجري ، أصوات أقدام الأطفال حين تلعب بعنف

دون مراعاة له و لمشاعره كأنه قرع طبول ، تسامح مرات كثيرة جدا إلى أن أصبح الأمر لا يطاق ، شهور مرت و لا أمل أن ينتهي ، لابد من إسكاتهم بأي وسيلة ، صعد هذه المرة ليس كما قبلها من عشرات المرات السابقة ، أيقن أنه لابد أن يغير أسلوبه الهادئ وحاشيته الرقيقة ، صعد إليهم ، طرق الباب بقوة ، غير من نبرة صوته و لهجته ، ليس كما عهدوه من قبل الجار الطيب المهذب ، تكلم بقوة و بأعلى صوته ، و في حدود الأدب و القانون.

- لماذا لا تستجيبون لما طلبت منكم؟ لماذا لا تكفون عن الإزعاج ؟ الآن سأطلب لكم الشرطة لتتصرف معكم ، سأحرر لكم محضرا ، لابد من ذلك ، و أقسم لكم إنني سأفعل هذه المرة.

- هم أطفال ماذا أصنع معهم؟ هكذا قالت أمهم.

رمى كلماته و انصرف.

ما إن عاد حتى سمع مكبرات صوت تقتحم عليه كل ركن في مسكنه

رغم إغلاق نوافذه الشديد المحكم ، تلك الأصوات و الضوضاء تستبيح خلوته مما اضطره لوضع سدادات قطنية في أذنيه كان يظنها ليلة و تمر، هو يريدها أن تمر دون مشاكل، و لكن هيهات ، تكرر الصوت مرارا و كان يأتيه في موعد ثابت كل ليلة ، فكر كثيرا و اتخذ قراره بعد دراسة العواقب الوخيمة التي تنتج عنه من ملاحقة هؤلاء الغوغاء له و ربما التعدي عليه ، ففي مثل تلك الحالات لا منجد لك سوى قوتك وعصبتك ، قرر أن يتعامل بالقانون ، أفضل و أقوى ردعا ، هكذا فكر و تخيل ، أخذ هاتفه و طلب النجدة لم يستجب أحد حاول ثانية رد أحدهم عليه ، و هنا بدأ المتلقي للبلاغ يوجه له العديد من الأسئلة و بعد أن أخذ كل بياناته و كأنه متهم يحقق معه ، أخيرا قال له انتظر ستحل المشكلة.

كرر هذا الاتصال يوميا دون جدوى.

أين نحن؟

كيف هذا؟

و للآن لم تأت الشرطة كما باقي الخدمات ، الإسعاف و الأحكام و كل الخدمات متأخرة ، أصبحت سمة المدينة ، لا شيء في موعده أو وقته.

مر أكثر من أسبوع ، و في شهر رمضان ذهب الرجل لعله يجد حلا للمشكلة ، قاده المكبر إلى مصدر الصوت ، محل لبيع الملابس ، وقف بين يدي مراهقين يتراقصون على صوت المكبر، و السماعات الضخمة.

دار نقاش غير متكافئ ، علت الأصوات دون أن ينسحب أحد الطرفين ، وفي الخلف كان يجلس أبوهم الذي ناهز الستين عاما من عمره ، على وجهه و يديه و عنقه تظهر آثار جروح غائرة يستعرضها و كأنها أوسمة و نياشين حربية حصدها على مر

تاريخه الإجرامي ، أشار إليه أن يذهب بعيدا.

- كيف تطلب مني أن أذهب و أنت لم تعطني ردا شافيا أو تغلق هذا الشيء؟

تقدم الرجل الكبير إليه و كأنه سيرحب به ، دفعه بقوة جعلته يتراجع لخطوات.

هم بالدفاع عن نفسه ، اعترض طريقه فتيان الرجل وعصابته ، التفوا حوله لم يدر من أين تأتيه اللكمات و الصفعات متتالية ، لا منجد و لا مغيث شعر بسائل دافئ يتدفق من مقدمة رأسه يغطي وجهه ، تلمسه ، وضع أصبعه على لسانه ، بعد أن وصل الطعم عقله ، عرف أنه أصيب و أن السائل هو دمه نتيجة الجروح الغائرة التي أحدثها أولاد صاحب المحل له.

وقف الرجل برهة مذهولا ، كان يتوقع كل شيء من قبل إلا أنه هذه المرة رغم أن الأحداث تبدو منطقية إلا أنها فاقت تقديره

و أفقدته تفكيره ، شعر بالإهانة و قلة الحيلة ، لم ينطق بكلمة واحدة ، استدار راجعا للخلف ، تلقى مزيدا من الركلات ، تم طرحه أرضا ، عالج الوقوف ، ابتعد قليلا قدر ما حملته خطاه ، لاحقت أذنيه من السباب والشتائم أفظعها ، شعر أنه نكرة ، و أنه لا شيء في سديم البشر، سلب منه كل شيء ، قيمة علمه ، تقديره ، احترامه ، محتويات جيبه ، استبيح جسده ، لا يزال مكبر الصوت يعمل ، ولكن هذه المرة سبابا فيه و توعدا له و لمن على شاكلته أو يحذو حذوه ، و خلال انسحابه مهانا حزينا كسيرا مغتاظا استوقفه رجل طيب صاحب محل يبيع عدد وادوات ، بنفس الشارع بجوار محل المشكل الصادر منه الإزعاج ، أزال الرجل عنه آثار الدماء ، سقاه شربة ماء ، حاول الرجل أن يستزيد من شرب الماء ، أمسك بجالون سعة ثلاثة لترات و ما أن رفعه ليشرب جرعة ماء ، حتى كانت يد صاحب المحل توقفه

، متعللا بأن ما كان سيشربه هو بنزين اشتراه للتو للنظافة الشخصية من الصدأ الذي يلطخ يديه بعد العمل، و بينما الرجل قابضا على العبوة ، تفتق ذهنه عن فكرة في التو و اللحظة ، مد يده في جيب الرجل ، كانت علبة سجائر ظاهرة منه ، استل من خلفها ولاعة ، حمل معه عصا حديدية ، يوجد الكثير منها داخل المحل ، تركه صاحب المحل يفعل ما يريد لحاجة في نفسه قابعة في عمقها من زمن ، و كأنما وجد ضالته و يده التي كان يريد أن يعملها بطشا بهم ، هؤلاء الحثالة الذين حرموا عليه أن يسمع حتى صوت عملائه عندما يتحدثون معه ، وذلك بفضل مكبرات الصوت و السماعات الضخمة بجواره ، أمسك بيده و أوعز إليه أن يدخل من الممر الذي بجواره لكي يكون خلفهم فلا يلاحظونه ، و بالفعل تسلل الرجل ، سكب البنزين على السرادق المقام و جعل خيطا رفيعا كحبل من البنزين ابتعد به قليلا عن المحل ،

أشعل النار التي سرت كلمح البصر و اشتعلت داخل المحل كله ، أخذ عصاه و أمام باب المحل كانت تلك العصي تعرف أعداءه ، تصيدهم كالفئران الهاربة من الجحيم ، كانت ضرباته قاتلة ، لا رحمة فيها ، منع القلة الذين أرادوا إطفاء النيران من فعل ذلك ، أتت النار على كل محتويات المحل ، احترق البلطجي الأب ، وأصيب أولاده إصابات قاتلة ، أحضر الرجل كرسيا وجلس بالمقابل ، أتاه أحدهم بكوب ماء بارد ، و آخر أشعل له سيجارة و ناوله إياها فرفض ، هو لا يدخن ، كانت دقائق لم يشعر بنفسه إلا و هو في سيارة الشرطة التي أتت هذه المرة سريعا لتحمله و ترحل مخلفا فوضى عارمة ، و هدوءا أسعد الجميع ، ليسطر صفحة جديدة في دفتر أحوال القسم.

ليس حبا

مواعيده منضبطة كساعة سويسرية ، مهندم كعارض أزياء ، رومانسي جدا و كأنه بطل خرج من بين مشاهد أفلام الزمن الجميل ، و في موعده المعتاد يوميا يصل متأنقا يقف بسيارته النظيفة أمام درجات سلم البناية الحكومية الكبيرة ملاصقا للرصيف مباشرة ، و ما إن يترجل يقف ثواني معدودة يستعيد لياقته و يتهندم ، يختلس نظرة لأعلى طوابق البناية الحكومية ، النساء اللاتي ينظرن إليه بإعجاب شديد وانبهار، يرمقهن بنظرة وابتسامة ، ويدور حول السيارة في وقار جم ينحني يفتح الباب للسيدة التي تجلس إلى جواره و كأنه شامشرجي معين في جهة سيادية ، يقر بالولاء لسيدته التي تنظر إليه بنصف عين و تتركه لتدلف إلى البهو الكبير حيث يجلس أفراد الأمن

وجهاز الحضور والانصراف ، توقع و تصعد لتستقبلنها زميلاتها بكل تودد ، يتفحصن كل ما فيها علهن يحصلن على إجابة وافية لسؤال حيرهن ، كيف استطاعت هذه المرأة أن تحصل على هذا الرجل الجميل الوسيم الرومانسي الذي يقدرها حق التقدير ويرعاها كطفلة ويعاملها كدبلوماسية أو سفيرة؟

- جمالها عادي جدا ، لا شيء يستحق كل هذا الاحتفاء بها ، هكذا قالت صديقتها البيضاء الناهد.

- وانا بسماري هذا وطولي الفارع و قوامي الرشيق أجمل منها بكثير، قالت زميلتها السمراء.

- فماذا أقول أنا وأنتن ترين ما أنا عليه من أناقة و جمال و شعر طويل و وجه أشقر، و استرسلت قائلة :

حقيقة أنتن جميلات فعلا و أجمل منها ، و لكن أظن أن الأمر ليس كذلك.. إنها أخلاق وتربية و عادات و تقاليد.. إن رجلها

هذا رجل يفهم في الإتيكيت ، و واضح أنه رومانسي جدا.

بدافع من الفضول القاتل استقبلتها زميلتها في العمل و هي التي طلقت من زوجها لأسباب اعتبرتها هي غاية في الأهمية و تلك الأسباب كانت منعدمة لدى مطلقها و أهمها قله الاهتمام ، و هذا عكس ما يفعله زوج زميلتها التي لم تستطع إخفاء إعجابها به و كأنها وجدت فيه ما ينقص زوجها ، و سألت صديقتها كيف هو معك بالبيت إذا كان هذا سلوكه معك بالشارع؟!!!

نظرت إليها الزوجة المدللة ولم تجب.

ألحت عليها في السؤال بطريقة أخرى:

يحبك كل الحب هذا و يعاملك كملكة ، نراه كل يوم يفتح لك باب السيارة؟!

ضحكت الزوجة ملء شدقيها و قالت

لا بد له أن يفعل ذلك ، مرغم هو لبخله الشديد ، يرى أن تكلفة

إصلاح باب السيارة الذي لا يفتح إلا من الخارج مكلفة و كثيرة جدا عليه!!!

ميدان العاقلة

قد رسم الزمن على وجهها علامات الرحيل ، عمرها كليل طويل تلألأت نجومه تدور منزاحة نحو تخوم الشمس لتبتلعه ، كل شيء ينذر بالأفول.

على أعتاب القدر تجلس وحيدة ، تكابد ألم الفقد و تتجرع مرارة الحرمان ، وتستجدي الحياة ابتسامة ، رغم كل ما حولها من ترف هاطل كالمطر لا يصيبها منه رشفة ، في الشارع الطويل الممتد بلا نهايات و البنايات على جانبيه متراصة بانتظام ، كأشجار السرو الشاهقة على جانبي النهر، و السيارات تتلاحق كموجات متدافعة على صفحته يزجر بعضها بعضا ، و البشر كغثاء منهمر في الاتجاهين في عشوائية تصيب العين بتلوث مقيت.

تتفحص عيناها كل متحدث بنعمة ، تذهب بفكرها بعيدا عن

واقع مرير يملأ صدرها حسرة وأسفا على عجزها و قلة حيلتها ، و يدها المغلولة قهرا ، تتمنى لو أنها تملك كل ما تقع عليه أعينها من نعم ، تحلق بخيالها بين وهاد الماضي من أقصاه إلى أدناه ، أب لضيق ذات اليد يحجب عنها نور العلم و يسلبها نعمة البصيرة ، صغيرة ابنة ستة أعوام ترى أقرانها كلهن متشبثات بأيدي أمهاتهن ، شعورهن مضفرة و مهندمات ومتأنقات ، يحملن كتبهن ولفافات من الطعام بأيديهن ، و حاويات المياه تتدلى على صدورهن ، تلمع أحذيتهن الجديدة ، لا تجد ما ترثي به حالها ، تنظر إلى ملابسها الرثة و حذائها الذي يحول تراب الطريق و بعض بقع المياه إلى مخمرة طين آسن تلوث أقدامها الصغيرة ، ترمقهن بنظرة غيرة و بغض لاعنة كل من تسبب في حرمانها مما ترى من أثر النعم على أترابها ، تمشي خلف أبيها و شقيقها الذي يكبرها بثلاثة أعوام مترجلين يسابقون عقارب الساعة ،

للوصول إلى المزارع المحيطة بالقرية للعمل فيها كل يوم بأجر زهيد لا يكفي لسد حاجاتهم، و الدتهم التي ترعى طفلين آخرين بالدار المستباحة جوا و برا لصيب السماء و الحيوانات الضالة ، لم يكن هناك أي بارقة أمل أن يتغير نمط الحياة ، مستسلمة لواقع الأمر، ظلت هكذا حتى سن السادسة عشرة ، و في صباح يوم تذكره جيدا أفاقت على ركلة قوية من أخيها الأكبر وهي في فراشها تتدثر أغطية كغرابيل لا تحجز ماء و لا هواء ، و في وجود أبيها الذي لم يبد انزعاجا و هي التي كانت قد عادت من عملها المضني و حتى وقت متأخر من الليلة الماضية.

لم تنه عمل الدار، فاستسلمت للنوم على معدة خاوية ، نهرها أخاها الذي لم يدخر جهدا في أن يكيل لها الضربات ، فأقسمت ألا تذهب اليوم للعمل بسبب وجهها المتورم و كاحلها الذي بالكاد يلامس الأرض لا تقوى على التحامل عليه بكامل اعتدال

وقفتها.

تركها الجميع اليوم و ذهبوا للعمل ، كانت في عامها الأخير بالقرية تنظر إلى القطار وصوته الذي يهز المكان ، ويشق الأفق ، أخذتها أرجلها بعيدا، لم تدر إلا و هي على محطته واقفة تنتظر قدومه ، كانت لحظة كما إشعال عود ثقاب ، ألقت كل سنوات الشقاء داخل القطار وقفزت خلفها ، لم تعرف إلى أين تذهب أو إلى أي بلد ، كل ما تعرفه أنها من وجه بحري ، و أن القطار متجه إلى مصر، و مصر بالنسبة لجميع من هم بالأقاليم تعني القاهرة ، مدينة السحر والجمال ، إلا هي لم تكن تسمع إلا أقل القليل عنها ، و ما إن وصل القطار إلى محطته الأخيرة حتى تلونت الحياة في عينيها ، لم تر تلك الألوان من قبل ، كل ما كانت غارقة سابقا فيه فقط الأسود و الأخضر لون ثيابها و الزرع و الأرض، تاهت وسط الزحام ، أخذتها أمواج البشر إلى

خارج المحطة ، واحد فقط رآها بالمحطة كأنه كان ينتظرها و مثيلاتها و يتبعها ليقرر بعد التأكد أخيرا أنها و حيدة بعدما يقرأ ملاحمها و هيئتها جيدا ، بارع هو في هذا ، إنه مصدر رزقه الذي يتكسب منه قوت يومه.

- ظل يحرسها طوال النهار و يراقبها وحيدة تمشي ، ليس لديها مال ، شعورها بالجوع ثبط من عزمها ، خارت قواها ، جلست على الرصيف ، لا تدري ماذا تفعل ، جن الليل عليها ، تلاعبت بها الأفكار السيئة ، مد يده ليسلم عليها.

- سيد أبو فاطمة.. اسمي سيد ، و ينادونني أبو فاطمة ، هكذا عرفها بنفسه.

أخوك من نفس بلدك الذي جئت منه ، أنا أشعر بك ، كان اللّٰه في عونك ، تعالي نتناول الغداء سويا ونتكلم ، لا تخافي أنا عندي مثلك و في مثل سنك.

تتفرس ملامحه ، لم تبدى اى انزعاجا ، أزهق التعب و الجوع كبرياءها.

دون أن تفكر دلفت معه إلى المطعم.

سألها ماذا تأكلين؟ ذمت شفتيها و رفعت عظمتي كتفها ،

قالت: أي شيء.

طلب لها دجاجا و لحما مشويا و سلاطة و طبقا من الأرز و طبقا من الخضار، و لم يبخل في شيء.

لأول مرة فى حياتها تحصل على وجبة فاخرة كهذه

، ابتلعت ريقها ، عيناها أكلت الطعام قبل يدها التي مدتها لترفع أول لقمة إلى فمها.

أمسك يدها برفق قائلا : الحمام في نهاية الصالة اغسلي يديك و وجهك ، و لكن بسرعة و لا تتأخري أنا منتظرك.

أطاعته بلا كلمة واحدة ، ذهبت إلى الحمام غسلت يديها و وجهها

، عادت و بنهم شديد تناولت الطعام معه ، و خرجا سويا...

في الصباح من اليوم التالي ، و على السرير بجانبها و هي شبه عارية ، وجدته ممدا يدخن سيجارته ، أذهلتها المفاجئة ، صرخت ، وضع يده على فمها ، أخرج من أسفل مخدته مطواة لامعا نصلها ، أحدث لها جرحا سطحيا على رقبتها خلف أذنها ، سالت دماؤها على صدرها.

- إن سمعت لك صوتا سأقطعك قطعا بحجم عقلة الإصبع و ألقيك للكلاب..

مفهوم؟؟؟

لم ترد ....

كرر لها السؤال بصوت كالرعد مفهووووم؟

- هزت رأسها و جسدها يرتعد خوفا كأنها لمست مصدر للكهرباء ، ردت بارتجاف نعم مفهوم ..مفهوم.

- أنت من الآن لي أنا ، أمري لك نافذ لا يقبل الجدل ، تفعلين كل ما أطلبه منك.

تنظر إليه و هي ترتجف بلا حراك وذهول

- فيصرخ فيها بقوة : مفهوم؟

- قالت و لا يزال الرعب يتملكها : مفهوم حاضر.. حاضر.

بعد أن شبع منها فى بضع ايام ، دعا زبائنه تباعا للبضاعة الجديدة التي ظفر بها ، لم تكن أبدا لترفض يوما و لم تعترض ، فهي مكرهة مجبرة ، ظلت هكذا سنين طويلة مهدرة كرامتها ، تباع كل يوم لمن يدفع و لا تجني شيئا ، كرهت كل شيء، ملأ هذا الرجل بدلو الظلم من بئر الحقد تجاويف قلبها ، قطع سكينه كل ما كان فيها ذا صلة بالجمال والحياة ، رأت فيه السجن و السجان و الجلاد ، زاد كرهها له وطغى ، لم يشفع لها عنده طول خدمتها و لا عشر سنين بلا أي مطلب ، ما زال على جحوده و نكرانه ، مع

نسمات الصباح الجديد و من أعلى البناية التي يقطن سطحها يتطلع إلى الشوارع ، كانت فرصة لن تتكرر ، جاءت من خلفه و دفعته للأمام ، لم يجد ما يمسك به ، تشرذم على الأرض مضرجا بدمائه لا حياة فيه ، نزلت من السلم الخلفي و عادت هائمة على غير هدى و جلست بنفس المكان الذي التقاها فيه و أخذها منه، حينها فقط أحست أن روحها عادت لها و بطل السحر، وهبتها الحياة الحكمة بعد فوات الأوان ، صارت تهب حكمتها لكل مار بالشارع بلا مقابل بلا سؤال أو سبب ، صارت علامة الشارع بجديتها و طريقة حديثها توزع البسمة للجميع ، عرفوها جميعا، بمساعدتها و خدمتها للجميع بلا مقابل ، تكره المال و لا تمد يدها لأحد ترفض استضافتها من أي أحد ، أحبت المكان و لم تبرحه كما أحبها المكان رغم نوبات الصراخ التي تعتريها بعض الأحيان ، غير أنها لا تؤذي أحدا، ألفها الكل فصارت رمزا و علما

بكل تناقضاتها، فكان الاسم الذي أطلقه الناس على تلك البقعة المستديرة من الشارع ، ميدان العاقلة.

الأبيض قناع

تحمل براءتها و بسمات تزين وجه طفولتها لما هبطت مسرعة من الدور الثاني حيث بيتها ، إلى الشارع بعد ما طارت بالونتها التي كانت بيدها ، كنزها الثمين ولعبتها المفضلة على وشك الضياع ، تصوب نظرها مباشرة إلى البالونة ، تخطو صوبها مسرعة ، في الجهة المقابلة لعمارتها كان يقف بائع الفاكهة المحملة على سيارته الصغيرة ، رأى البالونة التي انتهت رحلتها و حطت إلى جواره ، ونبه إلى الفتاة التي تعدو و تعبر الطريق غير مكترثة بما به من مخاطر، كرجل صاحب قلب كبير ينضح حنانا و رأفة بالصغار، خاف عليها، جرى نحوها حملها إلى مكان بالونتها بصندوق سيارته وضعهما سويا ، ذهب إلى المحل المقابل اشترى لها الحلوى ، و بعض الأشياء التي يعشقها الأطفال ، عاد

و أعطاها كل هذا ، أسعدها فاطمأنت ، تأكد أن لا أحد يتبعها أو يراقبها ، أشعل محرك سيارته و انطلق ، لم تمض دقائق حتى تنبه والدها إلى الباب المشرع بلا إغلاق ، بحث عنها في كل مكان بالبيت دون جدوى ، دلف هو و أمها بجنون إلى الطريق ، مشطا الشارع دون بارقة أمل ، وحدها كاميرات المراقبة بالمحل أظهرت التفاصيل ، أبلغ الرجل النجدة ، و على الفور تشكل فريق البحث ، الوقت يمر و البنت في خطر، حمل فريق البحث هاتف و الدتها و انطلقوا ، و هناك على بعد ساعة بالسيارة و سط المدينة من بيتها و في حجرة الإدارة بالمستشفى الخاص كان الفكهاني يسلم الطفلة للطبيب و يده تنزع عنها قرطها الذهبي و سلسلة ذهبية صغيرة تتدلى من جيدها و ساعة يد رقمية ، ما إن رآها الطبيب حتى استشاط غيظا ، غاضبا طلب من الفكهاني الانصراف فورا بعد أن خطف الساعة من يده و دكها بقدمه حولها إلى شظايا

، و لكن كان الأوان قد فات ، كانت فرقة البحث تقتحم الباب و تلقي القبض عليهم متلبسين بجرمهم المشهود ، و في التحقيقات تبين أن الطفلة كان بينها و بين الاختفاء للابد ثم الموت لحظات ، كانت بين براثن عصابة لتجارة الأعضاء ، كان بائع الفاكهة المتجول واحدا من جملة الجالبين ، و كان الطبيب واحدا من سلة الفاعلين المنتفعين ، وحدها التكنولوجيا من أنقذت الفتاة، الساعة التي كانت بيدها بها شريحة مقترنة بهواتف الأسرة لتتبع موقعها ، عادت برفقة أسرتها ، واقتيد الجناة إلى القسم و تم حبسهم و اتخاذ الإجراءات لمحاكمتهم.

أسرار الشيطان

من عاداته التي تعلمها من أبيه منذ أن التحق بالعمل مع والده أن يكون أول من يفتح وآخر من يغلق محله بالسوق ، لما انتهى يومه أعاد ترتيب بضاعته و أغلق محله الذي يقع داخل السوق الكبير، يكاد الشارع يخلو من المارة ، هم بالانصراف إلى شقته التي تقع بالطابق العلوي للمبنى ، فإذا بها في طريقه تبكي بحرارة ، فتاة صغيرة السن في مقتبل الشباب تضج بالأنوثة ، رقة طبعه وحسه المرهف جعلاه يسألها عما بها ، أجابت إنها في محنة وتحتاج مساعدته ، استرسلت و الدمع يغزو خديها المتوهجين هاطلا على صدرها النافر، تحكي له أنها تعرفت على شاب يكبرها بخمسة أعوام و تواصلا لمدة ثلاثة أشهر، أحبته حبا شديدا ، سقاها من معسول حديثه وتصرفاته الجميلة ، إلى أن جاء اليوم و دعاها

لنزهة قصيرة بسيارته ، وافقت ، لم تكن أبدا تشك في حبه لها وخوفه عليها ، ولما ركبت معه انطلق بها إلى إحدى الطرق الصحراوية و انزوى بها إلى طريق فرعي غير مأهول ، و هناك تحول إلى ذئب جائع اعتدى عليها و أفقدها عذريتها ، ولما أفاقت وجدت نفسها في حالة يرثى لها.. انهارت بالبكاء ، هدأ من روعها و وعدها بالزواج و في الطريق إلى منزلها مر بها في هذا الشارع ، و هنا تحديدا و منذ لحظات تركها و فر هاربا بعد ما أنزلها من سيارته مدعيا أن السيارة تعطلت و تركها و لم يعد إلى الآن ، على الرغم أنه يعلم أنها لا تملك مالا لركوب أي من المواصلات و ما هي عليه من حالة إعياء و إجهاد ، رق قلب الرجل لحالها ، حوقل و ضرب كفا بكف ، طلبت منه الاتصال بوالدها ، أخرج الرجل هاتفه و اتصل بالرقم الذي أملته إياه رد الهاتف و لكن لا أحد يجيب كرر الرجل الطلب مرة ثانية ، رد وفتح الخط و

لا أحد يرد ، ما من مجيب لبضع دقائق ، و بعدها حكت له أن هاتف و الدها قديم و ربما تكون سماعته تالفة ، قال الرجل لا بأس و أخرج من جيبه مائة جنيه و أعطاها لها و طلب منها ركوب تاكسي و العودة إلى أهلها ، رفضت ذلك مبررة أنها لا تريد لأحد أن يراها و هي عائدة متأخرة و أنها أصبحت خائفة جدا ، و رفضت أن تأخذ المال ، طلبت منه فقط أن يؤويها تلك الليلة فقط في محله و يغلق عليها حتى الصباح ، تردد الرجل كثيرا و تحت إلحاحها وافق أن تنام في مخزن بجوار المحل ، تركها الرجل برهة وعاد بعد أن اشترى لها وجبة طعام و زجاجة مياه ، و سألها إن كانت تريد شيئا آخر، أجابت بالنفي ، صعد الرجل إلى شقته و بات ليلته ، وفي الصباح عاد إلى عمله اليومي و فتح محله ثم فتح المخزن بعد أن طرق الباب من الخارج ، ألقى عليها التحية بعد أن مد لها طعاما للإفطار ، سألها أن يستدعي لها

سيارة تاكسي تقلها إلى منزلها خارج المدينة ، فوجئ بها تصيح بصوت عال: لا لا لا يمكن لك أن تفعل بي هكذا ، لن أدعك تفلت بفعلتك تلك و تتركني أتحمل تبعاتها بمفردي ، أسقط في يد الرجل ، يا ابنتي أنت أخطئت العنوان ، أنا رجل محترم و متزوج و لا يجب عليك أن تتمادي في ما تفعلين ، كل الناس تعرف من أنا و هل هذا جزائي؟ هل هذا ردك على ما صنعت من خير!!!!، تجمع الناس على صوت استغاثتها ، استغرب البعض و استنكر البعض االأخرى و من بينهم أطل جار له بالمحل كان يتمني الشر له و ألا ينجح أبدا ، كان يخفي كرهه وحقده عليه لحسن خلقه وتفوقه فى البيع ، أبلغ الرجل شرطة النجدة ، لم تتأخر كثيرا ، دلف الضابط من السيارة إلى المتحلقين حول الرجل والفتاة ، أطلت زوجة الرجل على الشارع عرفت أن سيارة الشرطة تقف أمام محل زوجها نزلت سريعا ، سألت عن الموضوع بعد أن رأت الفتاة ،

حكت لها الفتاة أن زوجك غرر بي بعد أن وعدني بالزواج ، و ها هو بعد حميمية الليلة يريد أن يتهرب و يتنصل من وعوده ، لم تتفوه الزوجة بكلمة واحدة رأت فراشا و بقايا الطعام بالمخزن ، قالت لزوجها : سأذهب إلى بيت أهلي ، ولم تزد على ذلك.

بعد أن سمع الشرطي من البنت قصتها اصطحبها و الرجل إلى قسم الشرطة لاستكمال التحقيق.

سأل الضابط الفتاة بعد أن سمع منها مرة ثانية ما سبق و قصته عليه ، و أنه غُرر بها من قبل هذا الرجل ، و أنها بالفعل قضت ليلتها بالمخزن ، و أنه وعدها بالزواج ، و أنها ذهبت له بناء على طلبه لها بالهاتف ، سألها إن كانت تملك بطاقة شخصية أجابت نعم ، و بالاطلاع عليها تبين أنها لم تبلغ السن القانونية للزواج بعد ، أي أنها قاصر، تم فحص هاتف الرجل تبين أنه بالفعل اتصل بالرقم الذي أدلت به الفتاة و أن الرقم مسجل باسمها ، أتت كل

إفادات الفتاة ضده صحيحة ، وبسؤاله حكى كل ما حدث معه بالضبط و لم يكذب أو ينسى شيئا ، تم إيداعه الحبس وحرر له المحضر اللازم و تم الاتصال بوالد الفتاة الذي حضر على الفور، و قام باستلام الفتاة و طالب بحق ابنته و سجل شكواه أيضا ، تجمع أهل الرجل و إخوته و أصدقاؤه و جيرانه ، الذين لم يصدقوا أن يحدث هذا منه حيث إنهم يعرفونه جيدا ، سأله أخوه الذي زاره برفقة المحامي الذي جلبه له و هو في محبسه إن كان حدث شيء من هذا بالفعل ، أجاب بالنفي القطعي الجازم ، تحركت تحريات البحث الجنائي للتحري عن الفتاة وأهلها ، لم يكن هناك من شيء ذي فائدة ، حيث إن أسرة الفتاة حديثة عهد بالمنطقة ، و أنهم كانوا يسكنون بمحافظة أخرى ، و أنهم غيروا محل إقامتهم في أوراقهم الثبوتية ، أكد له المحامي إن كان يريد الخلاص من تلك المشكلة فلا مفر من الزواج منها ، أقنعه أخيرا

أخوه أن يعتبر هذا قدره ، كما أن زوجته أيضا بعد تفكير عميق استعادت ثقتها بزوجها و أشارت عليه بأن يتزوجها.

ذهب المحامي و بعض من أهل الرجل إلى والد الفتاة للتصالح معه و طلب الفتاة للزواج، رفض الرجل أن يزوجها له و يتصالح معه إلا بعد أن يدفع لها مبلغا كبيرا من المال ، كان المبلغ كبيرا جدا و فوق طاقة الرجل ، اجتمع الأهل و الأصدقاء جميعا و قرروا أن يساعدوا الرجل ، جمعوا له كل حسب قدرته بعض المال ، حتى توفر لهم المبلغ المطلوب ، وقف الجميع إلى جوار التاجر لأن الجميع يعرف سلوك الرجل و صدقه فيما روي ، تم إبلاغ النيابة العامة بقرار التصالح و الرغبة في جبر الضرر و الزواج ، جاءت الفتاة مع والدها و أخرج الرجل من محبسه ليعقد على الفتاة رسميا ، لم يحب الرجل الأمر بالمرة ، كان يشعر بغصة في حلقه و كأن خنجرا يغرس في قلبه ، عبر عن ذلك للفتاة ، قال

لها و هو يتزوجها والله إني لكاره للزواج منك ، و إنك أحط من أن أتزوجك و إنك لا تتوقعين أني راض عن تلك الزيجة غير أني مضطر لذلك.

كانت تعبيرات وجهه تقول أكثر من ذلك بكثير، شعرت الفتاة بالإهانة البالغة ، كان الكلام في حضور جمع من الناس و الشرطة ، استشاطت غضبا و ردت عليه قائلةً : و أنا لولا أن أبي هو الذى اختارك لي لأنك غني و تقدر على دفع المال ما رضيت حتى أن أتكلم معك ، لاحظ والد الفتاة أن ابنته خرجت عن النص و ما خططه لها ، اختفى الرجل فجأة من المكان ، هرب ، وكأنه تبخر، هنا تأكد للجميع أن الرجل مظلوم ، تم الضغط على الفتاة بأنها لابد من الاعتراف لأنها أصبحت وحيدة و أن أباها هرب و تركها لتواجه السجن بمفردها ، و بالفعل اعترفت الفتاة بكل شيء ، و أن أباها هو من خطط لها ، و أن لها أختين يستغلهما أبوها

بنفس الطريقة ، فهن يتخيرن ضحاياهن ، وينصبن لهم الشباك و يوقعن بهم.

و بعد الكشف و التحري عنهن تبين أن كل واحدة منهن تزوجت بنفس الطريقة مرات عديدة.

تم القبض على الفتاة و أمرت النيابة بضبط و إحضار والدها ، الذي تبين أنه هارب من حكم بالسجن ثلاث سنوات في قضايا مشابهة ، و تم إخلاء سبيل الرجل الطيب الذي اكتشف أنه قدم المساعدة لحية رقطاء كانت تعاني الصقيع و الجوع ، فلما احتوها و شعرت بالدفء لدغته.

على الله الحكاية

معارك طاحنة تدور برأسه ، مشاحنات ومناوشات لا تتوقف، كلها تنطلق من على خط بداية واحد بالتزامن مع انطلاق شاحنته التي يعمل بها في نقل الحديد من المصنع إلى التجار، رغم الهدوء و الصمت الذي هو سمته ، اليوم كان في طريق عودته إلى المصنع ، نوى أن يتوقف عندما كان على مسافة مرمى حجر من المطعم الصغير الذي يألف تناول وجبة سريعة و ساخنة فيه ، إلى جانب المطعم على اليمين منه بمسافة مائة متر جراج ، ركن الشاحنة بعد أن تأكد من إغلاقها جيدا ، سلم على الحارس المتواجد دوما بالجراج ، لفحة الصقيع جعلت قشعريرة تسري في كامل بدنه ، شعر بحاجته الملحة إلى الطعام ، دلف إلى داخل المطعم ، كانت هناك أربع طاولات بلاستيكية ، على كل طاولة أربعة مقاعد ،

بعد أن تجاوزها للداخل ألقى التحية على الطاهي الذي يعمل بمفرده ، و يساعده طفله الذي لم يتجاوز العشر سنوات ، السائق و الطاهي يعرفان بعضهما جيدا ، سلم عليه يعرف طلبه ، أشار إليه أن يضاعف كمية اللحم و الحساء الساخن ، كشف الغطاء عن أرغفة الخبز، تخير منها ما يكفيه ، تبدو جافة بعض الشيء ، لا بأس ستذوب في الحساء الساخن ، و لا حرج ، الطعام سيكون شهيا فالجوع أفضل طاهٍ ، جلب له الصبي الأطباق بعد أن جلس ، أمسك بالأرغفة صفق بهما لينفض عنهما النخالة ، بدأ في تناول طعامه ، ما كاد أن ينتهي إلا و دلف ثلاثة أشخاص إلى المطعم ، بدت عليهم علامات السكر متفاوتة ، جلس اثنان منهم على الطاولة ، أما الثالث فما إن رأى الطفل الصغير حتى أمرة بعنف بتنظيف الطاولة ، رد الفتى عليه بأن الطاولة نظيفة و لا شيء فيها ، دفع الطفل بعيدا و نهره ، فانصرف الطفل بعد أن نادى

عليه الطاهي ، و أمره بتجنب هذا الشاب فهو مخمور.

ذهب الشاب إلى السائق و أشار إليه منفعلا ، لماذا تنظر لي هكذا؟، ألم أعجبك؟ ماذا بك أنت مجنون؟

لم ينطق السائق بكلمة بل إنه حتى لم ينظر إليه ، استشاط الشاب غيظا ، اندفع و جذب السائق من ملابسه ، لم يعره السائق اهتماما بعد أن خلص نفسه من بين يدي الشاب ، كان قد انتهي للتو من طعامه ، دفع حسابه و انصرف ، لحق به الشاب للخارج و هو يسبه بأفظع الشتائم ، و لما كان الطاهي و الطفل و الشابان الآخران بالمطعم ، مضت دقائق معدودة ، سمع الجميع صرخة مدوية ، هرع جميعهم إلى الخارج وجدوا الشاب الثالث ملقى على الأرض مضرجا بدمائه ، هاج صاحب المطعم و ماج ، يعلم أن الأمر لن يمر دون خسائر و لكن ما العمل؟ بعد التفكير الذي لم يستغرق دقائق اتصل صاحب المطعم بالشرطة التي بدورها

أبلغت الإسعاف التي أتت و نقلت الفتى إلى المستشفى ، لم يتمكن رجال الشرطة من سؤال المصاب ، كان فاقدا للوعي ، في المستشفى حاول الأطباء إسعافه و لكن الجرح كان غائرا ملتفا حول الرقبة من الخلف ، أدى إلى قطع الأوردة التي أدت إلى النزف الشديد مما أدى إلى الوفاة ، باشر رجال الشرطة التحقيق في الحادثة ، تم سؤال الطاهي الذي أفاد بأن الشاب حدث بينه و بين السائق مشادة ، و أن السائق لم يرد ، و شهد بما رآه و سمعه ، و كذا الطفل و الشابان الآخران شهدا بما حدث ، استنتج رجال البحث الجنائي أن السائق هو من فعل هذا ، و بسؤال حارس الجراج ، أكد أن السائق معروف لديه و أنه دائما ما يمر عليه ، و أن اسمه إبراهيم ، أخبر رجال البحث حارس الجراج أن يبلغهم إذا رآه مرة ثانية أو عرف أي معلومة جديدة عنه ، بعد أيام عاد إبراهيم إلى الجراج أبلغه الحارس بالأمر و أن الشرطة

تبحث عنه و قص له خبر القتيل و أنه متهم بالقتل ، أسقط في يد الرجل لم يتكلم كعادته ، و هذه المرة لم يدخل المطعم ، ركب شاحنته بعد أن أخرج مبلغا من المال و دسه في يد عامل الجراج و ولى مسرعا عائدا إلى الشركة ، سلم الشاحنة إلى قسم الحركة بالمصنع ، طلب إجازة ، حصل عليها و عاد إلى بيته على عجل ، قص على زوجته الحكاية ، أوصاها خيرا بنفسها و أولادهما إن حدث له ما يكره ، كثف رجال البحث و التحريات جهودهم في الوصول إلى شركة و مصنع الحديد التي يعمل بها إبراهيم ، تم أخذ عنوانه و الذهاب إليه و اقتياده إلى قسم الشرطة ، هناك تم استجوابه و التحقيق معه لساعات ، نفى نفيا جازما بأنه قتل ذاك الشاب ، أو أنه يعرفه أو أن هناك أي علاقة تربطه بالمجني عليه فقط ما حدث بالمطعم هو ما قصه عليهم ، كان كلام إبراهيم إلى حد ما أثار انتباه كبير المحققين الذي وجه

البحث في سيرة المجني عليه و صديقيه ، تبين أن المجني عليه سيئ السمعة ، و أنه و صديقيه مدمنون للخمور و أنواع أخرى من المكيفات بعد أن خضعا للتحاليل ، علم ضابط البحث الجنائي أن الشاب و صديقيه كانوا في سهرة ماجنة في مزرعة مجاورة و بعد أن لعبوا القمار و سكروا جاؤوا إلى المطعم ، تقصى الضابط عن تلك السهرة و من كان يلعب القمار معهم ، تبين أن حارس المزرعة المجاورة و هو مدمن أيضا، و له أخت جميلة جدا ، و أن المجني عليه على علاقة بها ، و أنه قبل الحادث خاض في شرفها بما يملكه لها من صور و فيديوهات لدى مجموعة أخرى من أصحابه ، مما أثار حفيظة أخيها بعد أن وصل الكلام إليه فدعاه و أصحابه إلى حفلة سكر و قمار، هكذا قص أصحاب المجني عليه ، و ما زاد الطين بلة أن الحارس شقيق البنت خسر في القمار لصالح المجني عليه فضحك عليه و سخر منه ، فبيت الآخر النية لقتله

و استرداد أمواله و أيضا ليشفي غليله ، و ما إن خرج و أصحابه إلى المطعم حتى تبعه فكان خلفهم يتحين الفرصة ، فاستمع إلى ما دار بينه و بين السائق داخل المطعم من مكان لا يراه فيه أحد ، و ما إن خرج غريمه من المطعم خلف السائق يسبه و ينهره ، و العجيب أن السائق تركه و لم يعره اهتماما حتى أمسك حارس المزرعة به من الخلف واضعا يده على فمه و قاطعا أوتار رقبته بمطواة كان يملكها و تأكد اليوم من اصطحابها في جيبه لهذا الغرض ، هكذا اعترف حارس المزرعة بكل ما جرى لأنه كان في حالة سكر، و هكذا جرت الأمور، تم القبض على حارس المزرعة و أخذت شهادة السائق و تم إخلاء سبيله بلا أي اشتراطات أو كفالة ، بينما تم تقديم الحارس للمحاكمة التي حكمت عليه بإعدامه شنقا بعد أخذ رأي فضيلة المفتي.

عاد السائق إلى عمله ، و في أول يوم عمل توقف بالشاحنة أمام

محل الخطاط ، و ناداه و أمره قائلا له : اكتب عليها من الخلف بخط كبير واضح ، «على اللّٰه الحكاية».

الانتقام سرا

- خلي بالك من نفسك يا زينب و سوقي سيارتك بالراحة.

قالت الأم و هي تودع ابنتها ذاهبة إلى كليتها التي دخلتها من أربع سنوات مضت ، رغم أن مجموعها كان يؤهلها لدراسة الطب البشري ، و لكنها كانت شغوفة بحب و الدها للصيدلة ، و نظرا لذلك أحبت الصيدلة.

و منذ نعومة أظافرها كانت تذهب مع والدها وتقضي جل وقتها في الصيدلية التي يملكها في الشارع الرئيس حيث تسكن أسرتها في الطابق الثالث بنفس العقار.

كانت جدا شغوفة بالقراءة ، بداية من مجلة ميكي ، مرورا بقصص أجاثا كريستي ، و مجموعة القصص البوليسية لآرثر كونان دويل و رائعته شرلوك هولز.

كانت شغوفة بالقراءة واسعة الاطلاع محبة للصيدلة ، حتى أنها كانت تعمل مع والدها فترات الإجازة، و أصبحت محترفة حتى قبل دخولها الكلية ، أشياء كثيرة تعلمتها مبكرا مثل الطهي و قيادة السيارة و السباحة و الموسيقى إلى جانب إتقان الإنجليزية ، اكتسبت معارف و خبرات أكثر من عمرها بكثير حصيلة اطلاعها المستمر، لها أختان أصغر منها ، لم ترزق بإخوة بنين مما جعلها تحمل عبئا أكبر، حيث يلجأ إليها أختاها الصغيرتان في كل صغيرة و كبيرة تخص حياتهما ، تفوقت في دراستها الجامعية لا تبعد كثيرا جامعة عين شمس عن مكان سكنها حيث تسكن مدينة نصر، يغبطها زملاؤها على تفوقها و يتقربون إليها طلبا لمساعدتهم فيما صعب عليهم من مواد دراسية ، كانت تساعد الجميع كلما سمح وقتها بذلك.

في ذلك اليوم ما إن وصلت إحدى إشارات المرور حتى كانت سيارة

تقف إلى جانبها ماركة مرسيدس سوداء نزل منها ثلاثة من الشباب ، فتحوا باب سيارتها و جذبوها و أدخلوها سيارتهم السوداء ، أخرج أحدهم مطواة حادة وضعها في جنبها وحذرها إن فتحت فمها سيقتلها ، ركب أحدهم سيارتها و تحرك بها خلف السيارة السوداء التي استدارت ناحية طريق المحور الواصل للطريق الدائري ، و في أسفل الكوبري ركنوا سيارتها و أعطوها المفتاح، علمت زينب أن الموضوع أكبر من السرقة ، حاولت أن تستغيث ، و ما إن رفعت صوتها حتى لطمها أحدهم على وجهها بقوة ، كانت تلك المرة الأولى التي تضرب فيها من أحد ، تألمت جدا من اللطمة ، دب في جسدها رعب وخوف رهيب ، سكتت ، كان صاحب النظارات السوداء و أبرزهم جسديا مفتول العضلات هو من لطمها و هددها ، و أخرج من جيب في باب السيارة عصابة سوداء وربط عينيها.

كانت تحاول أن تجمع كل العلامات و الأوصاف لخاطفيها قدر المستطاع ، كانت تعرف الطريق الذي تسير فيه السيارة جيد ا، هي تألفه ، كانت تزور عمها ، بالقاهرة الجديدة ، على الطريق استنشقت تلك الرائحة النفاذة ، عرفت أنها وصلت بمحاذاة المقابر التي تنبعث منها تلك الرائحة ، خففت السيارة من سرعتها و استدارت ناحية اليسار علمت ذلك من ميل جسدها عند الانعطاف ، بدأ لها ذلك المطب الكبير أول الطريق غير المعبد مألوفا ، طالما تجاوزته بهدوء أثناء عودتها من زيارة عمها ، من هنا بدأت في تركيز شديد تعد دقات قلبها ، كانت قد سمعت من قبل السائق و هو يخير أصدقاءه في الذهاب بين بيت أحدهم أو الفيلا الجديدة لوالده ، فاختاروا الفيلا.

كانت قد بدأت العد من بداية المطب ، بلغ عدد الدقات سبعمائة وخمسين دقة عندما توقفت السيارة ، نزلوا ، اقتادها أحدهم

أمامه ، كان واضحا من أن الباب الخارجي للفيلا عليه قفل بمزلاج ، سمعت صوت فتح القفل و أيضا صوت احتكاك المزلاج الذي لم يفتح بسهولة ، جاهدة تحاول رفع رجليها اللتين غاصتا بكثافة في الرمال أمام الفيلا ، نعم كانت رمالا و ليست ترابا ، علمت ذلك ، أحست بها عندما دخل شيء منها حذاءها أسفل قدمها ، دخل الجميع ، أماطوا عنها عصابة العين ، لم يتركوا لها فرصة للحديث أو الحركة ، ربطوا يديها تناوبوا اغتصابها ، طوال اليوم حتى أصابها الإعياء ، لم يستجب أي منهم لتوسلاتها أو صرخاتها التي كانت كلما حاولت أن ترفع فيها صوتها كتموها بالضرب و الجروح السطحية على جسدها ، بعد أن فرغوا منها ألبسوها ثيابها و أعادوها حيث سيارتها أسفل الكوبري و فروا هاربين ، جاهدت قدر الإمكان أدارت سيارتها فكرت طويلا أين تذهب؟ و أخيرا قررت الذهاب إلى قسم الشرطة ، لم يكن

يبعد عنها كثيرا ، فقط مسافة خمس دقائق بالسيارة ، نزلت من سيارتها أمام قسم الشرطة ودلفت إلى الداخل ، حيث كان هناك في الاستقبال أمين شرطة و اثنان من صغار الضباط ، سألها الأمين عن شكواها ، قصت له قصتها و أنها تعرضت للخطف و الاغتصاب و التعذيب ، سألها إن كانت تعلم اسم أي منهم ، فأجابت بالنفي ، سألها هل تحمل تقريرا طبيا يفيد بأنها تعرضت للاغتصاب ، فأجابت بالنفي ، سألها إن كان هناك شهود على الواقعة ، كان الإجابة أيضا بالنفي ، فما كان من إلا أن أنكر عليها قدومها للقسم ، و أنه فقط سيحرر لها محضرا بالواقعة و لن يستطيع أن يساعدها أكثر من ذلك ، خرجت تجرجر أذيال الخيبة ، طعم المرارة و الانكسار و القهر يجعل في حلقها غصة ، وجسدها يرتعد كسمكة علقت في شص صياد سحبها خارج المياه لتتأرجح في الفراغ ، تحاول التقيؤ الذي يباغتها دون جدوى ، لا

شيء دخل جوفها منذ الصباح ، استجمعت قواها و عادت إلى منزلها ، أزهقها الفكر، هل تبوح لأهلها عما حدث ، هل تسكت ، ظلت في حيرة حتى دخلت غرفتها أغلقت عليها بابها و أغمضت عينيها و راحت في نوم عميق ، و لكن معارك طاحنة تدور داخل عقلها ، في الصباح أخذت حمامها و ارتدت ملابس الخروج ، و كالعادة ودعتها أمها ، و أوصتها أن تقود على مهل ، هذا اليوم لم تذهب إلى الجامعة قررت أن تبحث هي بطريقتها عن مغتصبيها ، قررت أن تثأر لنفسها ، قادت سيارتها في نفس الاتجاه الذي سلكه خاطفوها بالأمس ، وصلت حيث المقابر استنشقت نفس الرائحة ، دارت بسيارتها إلى اليسار نعم هذه هي الطريق الغير معبدة و هذا هو المطب ، بدأت العد لما بلغت سبعمائة و خمسين دقة توقفت نظرت حولها ، نعم هناك فيلا على يسارها ، نزلت مشت خطوات ، غاصت قدماها في الرمال أمام الفيلا ، كانت

هناك كومة من باقي رمال العمل الذي لم يكتمل بعد داخلها ، نعم الباب الخارجي الوحيد الذي له قفل بمزلاج لاحظت ذلك ، نفس عدد الخطوات إلى الباب الرئيس تظهر من خلال السور الخارجي للفيلا لم يكن مرتفع كثيرا ليمنع النظر إلى الداخل ، إذن هي الفيلا ، ولكن كيف الدخول؟

بالطريق تمر بعض السيارات لكن لا أحد يتوقف لتسأله ، تريد أن تعرف شيئا عن الفيلا من صاحبها؟

فقط كان وحده عداد الكهرباء داخل صندق مثبت على السور، أخذت الأرقام المدونة عليه بالتفصيل ، عادت إلى شركة الكهرباء تعرف كشاف الكهرباء الذي كانت تعامله بلطف كل شهر حيث كانت تحضر له الماء و كرسيا ليلتقط أنفاسه و أحيانا كوبا من العصير، سألت عليه ، قابلها ، حكت له أن عريسا تقدم لها و أنه أخبرها أنه يملك فيلا، و هي مسجلة باسم والده ، و لكنها

لا تعلم الحقيقة ، و أنها تريد أن تتقصى عن اسم صاحب الفيلا و عنوانه ، أعطته الأرقام التي نقلتها ، وعدها بأنه سوف يساعدها ، تركت له رقم هاتفها ، و عادت إلى المنزل ، وفي آخر النهار اتصل بها كشاف الكهرباء ، أبلغها عن اسم صاحب الفيلا و عنوان سكنه المسجل لديهم بالشركة ، عبدالعاطي علي البيلاوي ، كان الرجل يعمل مدير شركة توريدات ، توجهت في اليوم التالي حيث عنوان سكنه ، عندما سألت عليه أخبرها البواب أنه غير موجود ، و لكن زوجته و ابنته بالداخل ، سألها ماذا تريد أخبرته أنها خطيبة ابنه ، قال البواب الأستاذ علي خطب ، أجابته بنعم و أخبرته أن ذلك من وقت قريب جدا ، و أنها تريد رؤيته ، تركها البواب تصعد بعد أن أرشدها إلى الدور و الشقة ، و أخبرها أن الأستاذ علي هو الابن الوحيد لأبويه ، قالت أعلم ، فأخبرها أنه موجود و لم يخرج بعد ، طرقت الباب فتح لها ، ارتبك من المفاجأة ،

قالت أريد أن أقابل اهلك حتى نجد حلا للموضوع ، ترجاها و وعدها بأنه سوف يفعل ما يرضيها ، على أن يتم مناقشة الموضوع بعيدا عن المنزل، وافقت ، خرجا سويا ، ركب سيارته بمفرده و ذهبت خلفه حتى وصلت إلى مفترق طرق ركنت سيارتها و ركبت معه ، قالت له اشترِ لنا شيئا نأكله ، أمام المطعم توقف ، أحضر وجبتين تيك اوي ، طلبت منه عصيرا ذهب لإحضاره ، وضعت له مخدرا بالطعام ، اكلا سويا فى السيارة ، أخبرته أن يقود إلى الفيلا ، نظر إليها باستغراب ، قالت له أنا أعرفها ، و أخبرته العنوان ، قاد سيارته و ما إن وصل بالسيارة إلى فيلا والده و دخل إليها حتى وقع على الأرض ، غالبه النعاس ، عندما صحا من نومه وجد نفسه مقيدا إلى السرير و عاري الجسد تقف إلى جانبه كأسد أخطأته رصاصة الصياد الأخيرة فظفر بصياده ، رآها و الشرر يتطاير من عينيها ، توسل إليها ، بكى كطفل صغير،

أخدت منه اعترافا كاملا مفصلا و مسجلا عنه و عن صاحبيه و كل بياناتهما ، و تحدثت مع وقتا قصيرا ثم أعادت عليه نفس الأسئلة عن أسماء صاحبيه و بياناتهما ، أجاب بنفس الكلام السابق ذكره ، تبينت صدقه ، وضعت شريطا لاصقا على فمه ، قطعت عضوه التناسلي و أغلقت الباب عليه و خرجت بعد أن أخذت هاتفه ومفاتيح السيارة ، عادت حيث تقف سيارتها ، كانت قد علمت منه أن صديقه هاني قوي البنية ، و هو يقيم بشقة بمفرده بشارع عباس العقاد ، و أن و الديه مسافران يعملان بالخارج ، كانت الشمس قد جمعت خيوطها و رحلت في طريقها نحو الغروب ، و الليل قادم على مهل يتدثر عباءته السوداء ، طرقت باب شقة هاني ، عندما فتح الباب ورآها ، ضحك ضحكة عريضة و قال ماذا تريدين ، قالت أنا ضيفة ببابك فهل تردني ، قال لا ادخلي ، دخلت و جلست تعجب منها و من جرأتها ، قال

ببرود شديد: اشتقت لي؟ قالت: نعم، سألته هل عندك طعام؟ قال: نعم، و أيضا عندي أحلى شراب ، قالت له: أحضر لنا شيئا منه ، غاب لحظة و أحضر كأسي شراب ، لها وله ، و أشارت إليه أن يطلب طعاما جاهزا ساخنا أفضل ، ففعل و في غفلة منه وضعت له سما بالشراب ، قالت له أريد منك شيئا واحدا فقط ، قال ما هو؟ قالت: اطلب صاحبيك اللذين كانا معك ليلتها ، و اطلب منهما بعض المال ، أحتاج بعض المال ، فما كان منه إلا أن طلب صديقه الثاني و لما أبلغه أن له عنده مفاجأة و أنها ستكون سهرة رائعة شرط أن يحضر معه بعض المال ، أجابه صديقه على الفور: مسافة السكة أكون عندك ، اتصل بالثالث تليفونه مغلق و لا يرد ، و ما إن مرت برهة من الوقت حتى بدأ السم يتوغل في جسده ليوقف عضلة القلب ، كسا وجهه اللون الأزرق ، لم يستطع التنفس ، خر صريعا على الأرض ، وقفت فوقه ركلته برجلها في

وجهه مرات و مرات ، و جلست تنتظر بعدما أغلقت باب الغرفة عليه بعد أن جرت جسده للداخل ، لم يمض وقت طويل حتى دق جرس الباب ، كان عامل المطعم ، استلمت الطعام و دفعت الحساب و أغلقت الباب ، تناولت بعضا من الطعام ، ما لبثت أن تنتهي حتى دق جرس الباب مرة أخرى ، دخلت إلى المطبخ تخيرت سكينا حادا و أخفته في طيات ملابسها ، فتحت الباب مبتسمة ، ما إن رآها هذا الأخير حتى ارتجف بدنه ، أدخلته و أغلقت الباب وهي تضحك ، حتى تزيل عنه الرهبة ، ارتمت في حضنه لم يصدق ما لبث أن تجاوب معها حتى غرست له السكين في جنبه ، صرخ ، فعاجلته بأخرى في قلبه ، وأخذت تكيل له الطعنات ، حتى لفظ آخر أنفاسه ، أخذت السكين غسلتها داخل المطبخ ، وضعتها بمكانها ، جمعت الهواتف أغلقتها ومسحت بصماتها من على كل شيء ، أغلقت الباب ورحلت ، ما إن وصلت إلى البيت ، أخذت

حماما دافئا ، و بعدها دخلت المطبخ أعدت كوبا من النسكافيه و ارتمت على سريرها و غطت في نوم عميق لم تشعر به من قبل أبدا.

كانت فيما بعد تتابع القضايا من خلال التوك شو و وسائل الميديا ، شعرت بنشوة الانتقام و انتصارها لكرامتها و انتقاما لشرفها ، و في اليوم التالي عادت إلى حياتها بعد أن طوت تلك الصفحة نهائيا من حياتها، و لم يبق منها سوى جرح غائر في النفس يؤلمها كلما مر بخيالها.

عفوا لا تفعل

في يومه الأول بعد خروجه إلى التقاعد ذاك اليوم الذي كان ينتظره منذ أن أحس أنه مقيد بسلاسل من حرير في وظيفته ، و لم يعد يملك وقته و لا راحته ، بدا له كأنه ثور مغمض العينين مربوط بساقية ، كان يمني نفسه بالسعادة يوما ما ، تدحرجت أحلام المستقبل السعيد ، تلك الأحلام التي ما لبثت أن تحولت إلى أحلام مؤجلة لحين بلوغه سن التقاعد حتى يبدأ في تحقيقها ، حينها فقط سيتوفر له الوقت و الجهد و المال كل تلك الأشياء التي يفتقدها هي مقومات السعادة ، اليوم فقط يبدأها ، خرج صباحا يتلمس أحلامه السعيدة ، بعد أن حصل على حقوقه المالية كاملة ، قرر من الأمس الذهاب للاستمتاع بصيد الأسماك ، هوايته التي لم يجد أبدا رفاهية فراغ الوقت

و فيض المال لممارستها ، وقف على قارعة الطريق أسفل منزله يحمل عدة الصيد و كرسيا صغيرا ليجلس عليه و حافظة حرارة ، أو كما تسمى (ترمس) بها شاي من نوعه الفاخر المفضل ، و بعض الطعوم من ديدان الأرض ، كل ذلك بحقيبته ، كما اشتملت الحقيبة أيضا على طعام له ، و بعض الأغراض الصغيرة.

بشموخ و كبرياء رجل عظيم يملك رفاهية المال و الوقت ، و بتفاؤل المقبل على السعادة ، أشار إلى تاكسي استحسنه ، فلطالما عانى من أعطال سيارات الأجرة التي كان يختارها فيما سبق نظرا لتعريفتها المخفضة ، اليوم اختلف الأمر تماما ، توقفت سيارة التاكسي المميزة أمامه..

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- و عليكم السلام و الرحمة.

- هل لك أن تقلني إلى مرسى النهر.

- بكل سرور يا سيدي تفضل.

ركب في المقعد الخلفي.

استدار السائق و أخذ طريقه إلى المرسى على نهر النيل ، ساد الصمت في السيارة ، هذا غارق في عمله ، و الآخر يتأمل الأماكن على جانبي الطريق و يجتر الذكريات و يفكر في أحد أحلامه التي بدأت تتحقق ، لم يمر وقت طويل حتى أخذ سائق السيارة الطريق الدائري ليصل أسرع ، و انطلقت السيارة بسرعة مع مجموعات السيارات الأخرى.

- كيف تغيرت البلد كل هذا التغير و لم ألاحظ ذلك من قبل؟

قالها في نفسه و لم يبح بها للسائق.

السيارة تأخذ سرعتها القصوى ، ينتبه فينتابه بعض القلق ، لديه رهاب من تلك السرعة العالية ، مد يده و ربت على كتف السائق ، ارتجف جسد السائق ، اهتز المقود بيده ، تأرجحت

السيارة في كلا الاتجاهين ، انكمش صاحبنا في المقعد الخلفي واضعا رأسه وسط رجليه مغمضا عينيه ، مرددا الشهادتين ، و ما إن عادت السيارة و استقرت على الطريق حتى قال السائق ، بعد أن بلغ منه الغضب مبلغا عظيما :

- كدت تقتلنا يا سيدي.

أرجوك لا تفعل هذا مجددا أبدا

- و لم كل هذا الاضطراب؟ ماذا حدث لك؟

- أفزعتني يا سيدي حد الرعب.

- و لم؟ كل هذا لمجرد أن ربت على كتفك برفق؟!! أأنت حديث عهد بقيادة السيارات؟

- لا يا سيدي أنا أقود السيارات منذ خمسة و عشرين عاما ، ولكن هذا أول يوم وأول مرة أقود سيارة أجرة Taxi.

- و أي نوع من السيارات كنت تقود من قبل؟

- كنت يا سيدي أقود سيارة بمفردي و الراكب لا ينطق بكلمة واحدة و لا يعترض و لا يطلب الوقوف أو النزول، و لا يختار الأماكن و لا الأوقات ، و لا يجادل في دفع المال ، و الأهم أنني لم أكن أشعر بوجوده مطلقا.

- عجبا أي نوع من السيارات تلك؟ وأي نوع من الركاب يكون هذا؟

- إنها كانت سيارة ماركة فورد و تعمل لنقل الموتى يا سيدي ، و الراكب هو الميت.

- يا الله يا الله ما هذا الفأل الحسن!!!

ما تلك البدايات السعيدة؟!!!!

رادار

طربا تتراقص كل الأشياء من حوله، تبدو كل الألوان زاهية في عينيه، تتشرذم الأطياف وتعود ربما لتمتزج بعض الشيء مع بعضها البعض، ولكنها تبدو جميلة جدا، حتى الشجيرات التي أمام المبنى الذي خرج منه تبدو أكثر نضارة واخضرارا مع ذلك النسيم العليل الذي يهمس للفروع بلغة غاية في الرومانسية، ربما لأن من الهمس وكلمات العشق ما تطرب له فتتراقص مهدهدة أوراقها منتشية وكأنها تنحني لصاحبنا احتراما وإعجابا.

فيهز رأسه من أعلى إلى أسفل مرات عديدة ملوحا بيده يمينا ويسارا وكأنه يرد التحية لها مودعا، يقف فجأة ليتأكد من خلو الشارع من السيارات لكي يعبر إلى الجهة الأخرى باحثا عن سيارته التي اشتراها منذ فترة وجيزة موديل العام، لكي تليق

به وترقيته الجديدة في عمله الذي يفني في جنبات أروقته كل وقته، كم هو مخلص وجاد في عمله إلا في وقت الراحة الأسبوعية وكذلك أيام الإجازات والعطلات الرسمية فهي له، يحاول أن ينسى كل ما يكدر صفوه لشعوره الدائم أنه تحت ضغط يفوق قدراته بكثير، لذا هو يحاول أن يدخل في حالة مزاجية مغايرة تماما تزيح عنه الألم والتعب الذي يلاقيه معظم أوقاته، ما إن يعبر الشارع حتى يقف حائرا يقطع عليه تفكيره وحيرته جرس الهاتف الذي كانت نغماته تصدح بالمارشات العسكرية، لا يريد أن يجيب الرنين، فقط هو يحاول خفض صوت الهاتف دون الرد أو إلغاء المكالمة، ينظر يمينا ويسارا، يدور في مكانه كفرجار يرسم دائرة على الطريق المعبد، يردد لا فائدة، تنساب يده في جيبه ترفرف بحثا عن ريموت السيارة، لا مناص من البحث عن السيارة إلا به، ما إن يضغط الذر إلا وطنين صوت فتح الأبواب مع

أنوار الإشارات بالسيارة يصل إلى مسامعه، يرى سيارته، تحمله قدماه المتثاقلة إليها، يفتح الباب، يلقي بنفسه على مقعد السائق ويشعل محرك السيارة، ينطلق بسرعة، يخرج يده من الشباك يقاوم أمواج الهواء النقي التي تدفع يده للخلف متفلتة من بين أصابعه، ينتشي أكثر فيميل برأسه ناجية الشباك كي يداعب الهواء وجهه بقوة، يدعس على دواسة الوقود أكثر فتنطلق السيارة كمركبة فضائية تشق الأفق فلا تكاد تلمحها وهى تسابق الصوت سرعة، في منتصف المسافة التي يريد الوصول إليها يلتقط الرادار سرعته، فينطلق خلفه الشرطي الذى يقف على مسافة ليست بالبعيدة، وما إن يصل بمحاذاته حتى يشير إليه أن توقف واركن على يمين الشارع ويجبره على الوقوف، فلا يجد بدا من النزول على أمر الشرطي ملتزما بالوقوف، ينزل الشرطي متوجسا خيفة واضعا يده على مقبض سلاحه الناري،

وبحذر ينظر داخل السيارة مبادرا سائقها بالسؤال: لماذا تجري بسرعة عالية هكذا؟

وقبل أن يجيب لاحقه بالسؤال الثاني، أين رخصك؟

أجاب الرجل وهو يضع يده في جيبه لاستخراج رخصة القيادة ورخصة السيارة، أنا أجري لأني متأخر جدا كما ترى في هذا الوقت ونحن قبيل الفجر بلحظات، باستغراب واستنكار يبادره الشرطي:

متأخر على ماذا؟

يجيب الرجل متأخر عن محاضرة هامة جدا عن أضرار تأثير الكحول والتدخين وكذلك السهر على الصحة.

ينظر الشرطي إلى ساعته بعد أن تخلى عن وضع يده على مقبض سلاحه.

وباستغراب واندهاش يسأل: وأين هذا المكان الذي ستتلقى به

المحاضرة في هذا التوقيت؟ ومن هذا العبقري الذي سيلقي على مسامعك الكريمة تلك المحاضرة؟

وبعد أن يميل الشرطي قريبا من وجه الرجل ليشم رائحة الخمر ومخدر الحشيش المحترق داخل سيجارة بسيارة الرجل ويتأكد له أن الرجل هو جد مخمور ومدخن للحشيش.

يجيب الرجل: المكان هو بيتي يا سيدي.

ومن سيلقي المحاضرة هي زوجتي، رغم علمها أنها لم تقدم جديدا بكلامها هذا!!! فكم مرة تقول هذا الكلام أقصد المحاضرة وأنا أستمع، فقط أستمع وأوافق نعم، أستمع وأوافق رغم الضجر والملل.

فيضحك الشرطي ضحكة تهتز لها أركان جسده جميعها، فيطلب منه سداد قيمة المخالفة.

فيقلب الرجل جيوب الجاكت الذي يرتديه، مشيرا إلى أن النادل

الذي كان بالملهى الذي خرج منه أتى على كل نقوده، فيسحب منه الرخصة على أمل سداد قيمة المخالفات، متعاطفا مع الرجل داعيا الله له أن يكون في عونه ومودعه بضحكة عميقة جدا.

رب ضارة نافعة

همَّ الرجل بالخروج من بيته كالعادة ، كان الرجل حائرا لا يدري ماذا يفعل ، زوجته مريضة بداء القلب ، و أقل الحركات و أبسطها تؤلمها ، حياته لا روح فيها و هي شبه متوقفة بسبب مرض زوجته الذي يحول بينها و بين واجباتها الزوجية ، يتنهد تنهيدة طويلة ويتمتم: لا بأس ، أدخل يده في جيبه يبحث عن خمسة جنيهات يدفعها لحارس المرآب لقاء نظافة السيارة التي يمتلكها ، أخيرا وجد فئات صغيرة بين نقوده ، نقدها للحارس و راح يقود سيارته و يمر بالإشارة الضوئية التي لا تبعد كثيرا عن منزله ، هو يراها الآن ، نعم إنها هي تلك السيدة بسيارتها ماركة «الأوبل» الزرقاء ذات الطراز القديم ، يرمقها بنظرة وهي تقف في تقاطع إشارته الخضراء التي سمحت له بالمرور و أوقفت

تلك السيدة الثلاثينية في انتظار أن يتغير ضوؤها الأحمر إلى الأخضر كي تمر، تغافلت السيدة نظرة الرجل إليها و نكست رأسها افتعالا ، وتم لها ما أرادت ، وصل الرجل إلى عمله و جلس يفكر، و لم لا؟؟؟!!!!

استل هاتفه ، اتصل بها ، بعد أن حياها ، عرض عليها الأمر بكل أدب ، أغلقت الهاتف في وجهه دون إذن أو وداع أو حتى سلام ، مما ينم عن مفاجأة كبرى صعقتها ، تعجب الرجل ، و لكنه التمس لها العذر، و أرسل رسالة لها ، و انتظر ردها!!!

يدخن سيجارته و يتذكر أنه كان منذ عام و نصف يمر بنفس تقاطع إشارة المرور و نفس السيدة تراه و يراها لمدة طويلة في نفس الإشارة ، هو يعرفها شكلا بسيارتها ، و في ذلك اليوم الذي لم ينسه أبدا ، كان طريقه مفتوحا ويسمح له بالمرور، و لكن تلك السيدة كانت مستعجلة جدا فاصطدمت بسيارته في الباب

الخلفي و مؤخرة السيارة ، توقف و ترجل من سيارته ، كانت السيدة فرائصها ترتعد ، و لم تقوَ على الوقوف ، هم الرجل بإبلاغ الشرطة ، توسلت إليه المرأة أن لا يفعل ، و أنها ستقوم بدفع جميع تكاليف الإصلاح و تعوضه كما يشاء ، فهي تسكن بنفس الحي الذي يسكنه كما عرف من أوراقها الثبوتية التى طلبها منها عقب الاصدام ، كما أنها لن تهرب منه ، فهي موظفة و لديها محل عمل ثابت ، وافق الرجل على مضض ، فلا بديل و الرحمة و الرأفة مطلوبة.

تركها الرجل وذهب بسيارته إلى ورش الوكالة لصيانتها، تم تقدير الضرر في سيارته بمبلغ ثلاثين ألف جنيه ، سيارته كانت جديدة و ماركة «فولكس واجن» الألمانية ، ذهب إلى المرأة و عرض عليها التكلفة بالفواتير، لم تبد أي اعتراض ، و لكنها شكت إليه أنها ليس لديها مبلغ كبير كهذا الآن ، و أنها ستدبر

له المبلغ خلال أيام ، حدث الرجل نفسه بأن تفاءل و لعله خير تركها و اتصل بها بعد أيام، فاعتذرت له أنها لن تقدر على السداد دفعة واحدة ، فكر الرجل طويلا وأخيرا اقترح عليها أن تطلب قرضا من البنك ، بضمان عملها ، وتسدد على أقساط كما تشاء ، وافقت على الفور، وقالت تبقى هناك مشكلة أنني لم أجد ضامنا لي ، أحس الرجل بأن الضامن حجر عثرة في سبيل حصوله على أمواله ، فقال الرجل دون تفكير و على الفور أنا أضمنك.

و بالفعل ذهب معها إلى المصرف و أنهيا إجراءات القرض و تم الصرف ، و استلم الرجل أموال الصيانة كاملة دفعة واحدة ، تركها الرجل على أمل أن تنتظم في سداد مبلغ القرض للبنك ، ذهب الرجل و دفع تكاليف إصلاح و صيانة السيارة ، و تسلمها و عاد و انتظم في الذهاب بها إلى عمله.

و ذات يوم رن هاتفه ، كان المتصل من قسم الائتمان بالمصرف

يخبره بأن عليه أن يحضر للبنك ليسدد القرض لأنه ضامن ، فسأل و ما بال السيدة؟ أخبروه أنها توقفت عن السداد.

هاتف الرجل السيدة فاعتذرت له بأن ظروفها صعبة جدا ، وأنها تم فصلها من العمل ، لأن الشركة توقفت نظرا لظروف الوباء الذي حل بالبلاد ، و أنها لم يعد لديها أي دخل يذكر، و أنها لا تعرف حتى كيف تنفق على ابنتها الصغيرة ، بعد أن توقف مطلقها أيضا عن دفع النفقة الشهرية لابنتهما ، هنا طأطأ الرجل رأسه أسفا، بعد أن رجته أن يسدد عنها ، و أنها سوف تسدد له حين ميسرة ، فقط طلبت منه تقسيط المبلغ ، وافق الرجل مضطرا ، على أن تدفع الأقساط نهاية كل شهر مع استلام الراتب عندما تحصل على عمل جديد ، تركها و بعد خمسة أشهر اتصلت به و أرسلت له مبلغ خمسمائة جنيه ، طاش عقل الرجل كيف و متى تسدد هذا المبلغ الكبير، و كيف له أن ينتظر كل هذا الزمن،

وهي تدفع مبالغ بسيطة جدا هكذا ، آفاق الرجل من سرحانه وتفكيره العميق على صوت رسالة أتت إلى هاتفه فحواها أنها موافقه و ترحب به و تنتظر أن يأتي لخطبتها كما هاتفها من قبل و انها أغلقت التليفون خجلا و مفاجأة!! و أنها تقبل بما طلب أو كما شرح لها في رسالته السابقة.

سعد الرجل بالخبر كمثل سعادته ا، فهي ستجد أبا بديل لابنتها ، يتولى الإنفاق عليهما و يرعاهما سويا ، و كذلك هو سيعيش الحياة التي حرم منها منذ مرض زوجته.

تم تحديد موعد و زيارتها و تم الاتفاق على كل شيء هو لا يريد منها أي شيء ، فقط هي و لا شيء معها ، عنده هو كل ما يلزم للمعيشة ، ولكن أخاها طلب مهرا لها حدده بمبلغ خمسين ألف جنيه عاجلا غير آجل ، وافق الرجل و أخرج من حقيبته المبلغ و أعطاه لأخيها ، عد أخوها المبلغ و التفت إلى صديقه و

ألقى له بالمال و قال: عد عني، عد المبلغ و قال: هذا المبلغ واحد وعشرون ألفا.

قال أخوها: الآن تأكدت، المبلغ ناقص تسعة وعشرون ألفا، قال الرجل: نعم هو كذلك.

أين الباقي من الخمسين ألفا؟ هكذا قال أخوها.

قال الرجل المبلغ واصل و اسأل أختك.

دخل الأخ إلى مخدع أخته و سألها: هل أعطاك الرجل مالا من قبل؟ سكتت لحظة، عاود السؤال: هل أخذت من الرجل مالا من قبل؟

أجابت: نعم، وصلني المبلغ من قبل.

تعجب أخوها، ولكنه لم يسأل، و أتم عقد الزواج على هذا، وكانت السعادة ترفرف حولها، و كان هو كذلك نعم الزوج لها والأب لابنتها.

ومرت السنوات سريعا ، و كلما نظر إليها حدق في وجهها و ابتسم و قال هو و هي سويا و بعد أن تبتسم أيضا : رب ضارة نافعة.

خازن الأصنام

لقد تغير جذريا ، لم يعد كما كان!! ذلك الموظف الذي يعمل أمين مخازن بمصلحة الآثار، الرجل الطيب المسالم البسيط جدا ، هو ذاك التقي الذي لا تفوته صلاة بالمسجد ، ذاك الرجل الذي يستفتي العلماء و الشيوخ عن كل شيء يمس حياته الشخصية ، سواء كان صغيرا أم كبيرا ، اليوم التحق بوظيفته تلك بعد أن توسط له أحد أقاربه الذي يعمل بوزارة الثقافة بعد عدة زيارات له لأجل هذا الغرض ، كان قريبه هذا يعلم رقة حاله و طبعه المتدين و يخشى أن يرده خالي الوفاض أو يعده بشيء لا يستطيع هو دفع ثمنه ، أو (خلو رجل الوظيفة) كما يسمونه.

وأخيرا انطلق لسان الرجل بعد أن مل زياراته و تليفوناته هو و أسرته ، أخبر صاحبنا آسفا أن عليه أن يدفع إن كان يريد

أن يتسلم الوظيفة ، عاد صاحبنا العاطل الطيب هذا يضرب أخماسا في أسداس و يحوقل ، و بعد أن عرض الأمر مستنكرا على والده الذي بدوره فشل في إقناعه بالقبول و دفع المبلغ المطلوب حتى يحصل على الوظيفة ، و بعد مناقشات مستفيضة أشار عليه الوالد أن يستفتي شيخه بعد الصلاة و بالفعل عرض الأمر برمته على شيخه الذي يعلم حاله ومعاناته ، فأفتاه الشيخ بالقبول و دفع المبلغ لأنه مضطر، و المضطر يعذر، «فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه».

أخذ صاحبنا ما وفره على مدار سنوات من دخوله في جمعيات لا يزال يسدد أقساطها و ذهب به إلى قريبه عالي المقام و سلمه المبلغ ، فبارك له و أجرى مكالمة هاتفية و أعطاه ورقة توصية ليذهب في الصباح لإتمام إجراءات استلام وظيفته تلك التي قبلها مضطرا لما فيها من شبهة أيضا ، فهو أصبح أمين مخزن

بالهيئة العامة للآثار، عهدته التي سيوقع على استلامها ، هي الآلهة الفرعونية القديمة ، تحف و تماثيل و خراطيش و أوانٍ و حلي و مقتنيات الملوك القدامى ، منها ما هو ذهبي و ما هو صخري ، يا الله هو الذي لم يعلق لوحة أو صورة في بيته لحرمتها جاء اليوم يحرس الآلهة ، وأصبحت مسؤوليته ، إن هذا لمن سخرية القدر.

مرت الأيام و الشهور و السنوات بشكل جيد في البداية ، و لكن الآن أصبح الحمل ثقيلا عليه لكبر أسرته فقد كبر أولاده الخمسة ، ثلاثة من الذكور و بنتان على أبواب الزواج ، يمنعه من الموافقة على زواجهم ضيق ذات اليد و ديون لازمته منذ وقت طويل.

جلس إلى مديره بالعمل وصديقه الصدوق الذي دوما ملاذه ومنقذه ، فكلما أراد بعض المال على سبيل السلف يعطيه و لا

يرده أبدا ، و رغم أن دينه زاد و لم يسدد إلا أن معاملة مديره و صديقه لم تختلف، فقط الآن واساه على شظف عيشه و قارن بينه و بين أناس يعرفهم تغير حالهم إلى أفضل حال، وهم ليسوا مثله ، لم يكن حتى تحت يديهم ما تحت يديه ، حدثه مديره عن أن واحدة فقط من تلك الآلهة كفيلة بأن تسدد ديونه ، و أن تغير حاله إلى رغد العيش بقية عمره ، أقنعه مديره أن بيع تلك الآلهة ليس حراما ، بل هي حلال الحلال ، و أنه لن يكشف أمره أبدا، كل ما هو مطلوب منه أن يسكت فقط ، و هو سوف يحضر له المشتري ، و أيضا يحضر له من يقلد ذلك التمثال ، و لن يستطيع أحد أن يتبين الفرق بين الأصل والتقليد ، لم يبد صاحبنا مواقفة ، و لكنه قال يجب أن أرى المشتري أولا و من سيصنع البديل ثانيا.

فرح المدير و وافق على الفور أجرى اتصالاته و رتب لمقابلة مع

خبير أجنبي الذي أقنعه أنه قبل أن يأخذ الأصل سيضع التقليد مكانه و تمر الأمور بسلام ، وافق ، و لكن ليس على قطعة واحدة ، و لكن على عدد كبير جدا مما يتخيروه أفضل القطع الثمينة مقابل مبالغ يعجز عن عدها أو حتى نطق الرقم الصحيح لإجماليها ، ستوضع باسمه في الخارج ، و مبلغ آخر تجاوز السبعة أصفار أمامه بالعملة المحلية لتصريف أموره ، و اشترط تأشيرة أوروبية على جواز سفره ، وبعدها ينفذ ، سأله مديره ما كل هذا التغيير؟ لم أحسب يوما أنك ستكون بهكذا جرأة و إقدام و شطارة تحسد عليها ، ضحك عاليا مقهقها : «إن عشقت اعشق قمر».

الآن يضحك مقهورا وآسفا على ما فات من عمره في انتظار إنصاف جهة عمله حتى فقط أن تعطيه ما يكفيه لعيش كريم ، و لكن دون جدوى ، ضاع عمره في كبد و معاناة ما بعدها معاناة ، هو

الآن غير نادم ، بل مرتاح الضمير لما فعل ، تغير تماما و كليا، هو الآن يرتدي حلته الأنيقة ومشعلا سيجاره الكوبي الفاخر و على يمينه و يساره حسناوات نادي القمار في لندن ، يشرب و يمرح و يعيش رغد العيش ، إلى جواره كل خربي الذمم و أذرع الفساد من كل حدب وصوب ، هو الآن عضو بنادي الاثرياء ، لا يخشى الفقر و لا تطارده الديون بعد أن ترك لأولاده ما يفوق احتياجاتهم ، قانعا بأنه لم يسرق أحدا بل خلص البلاد و العباد من الأصنام التي تركها الأجداد ، و إن عاصمة الضباب جنة الله على الأرض التي يستحقها.. و هذا هو العدل.

الفهرس

١- احلام مقتولة ٩

٢- لحظة تنويرية ١٣

٣- خطوة على الطريق ١٥

٤- ثورة الحكيم..... ٣٤

٥- ليس حبا..... ٤٤

٦- ميدان العاقلة ٤٨

٧- الأبيض قناع ٥٨

٨- أسرار الشيطان..... ٦١

٩- على الله الحكاية ٧٠

١٠- الانتقام سرا..... ٧٨

١١- عفوا لا تفعل ٩٢

١٢- رادار.....٩٧

١٣- رب ضارة نافعة ١٠٣

١٤- خازن الالهة ١١١

جبال الأماني شاهقة لا تشفق عليها سحب، فاصعدها بتؤدة وروية، زادك الثقة والعزيمة، سلاحك المثابرة والإصرار، بجهدك ترتقيها وتحقق أحلامك، وثق أن تلك العقبات والصعاب التي بطريقك هي السطور التي تنقشها على الصخر لتكتب لك تاريخا سرمديا، فلا معنى ولا طعم لنجاح أو مجد لم تكن أنت صانعه، فلا تتطلع إلى ما بيد الخلق، والخالق إليك أقرب، ولا تنظر إلى ما بيد مخلوق، والرازق خزائنه ملأى لا تنفد.

عبد الرحمن الراوي

دار المفكر العربي